مجلَّة الجامعة الإسلاميَّة للُّغة العربيَّة وآدابها

مجلَّة عِلميَّة دَوْريَّة مُحكَّمة

الجزء 2

العدد
13

يوليو - سبتمبر
2024م

١٣٨١
١٩٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة إلى البريد الإلكتروني:

asj4iu@iu. edu. sa

البحوث المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطّبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. تركي بن صالح المعبدي
(رئيس هيئة التحرير)
أستاذ النحو والصرف المشارك بالجامعة الإسلامية
د. خليوي بن سامر العياضي
(مدير التحرير)
أستاذ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها المشارك بالجامعة الإسلامية
أ.د. عبد الرزاق بن فراج الصاعدي
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية
أ.د. عبدالرحمن بن دخيل ربه المطرفي
أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية
أ.د. الزبير بن محمد أيوب
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية
د. مبارك بن شتيوي الحبيشي
أستاذ البلاغة المشارك بالجامعة الإسلامية
د. محمد بن ظافر الحازمي
أستاذ اللسانيات المشارك بالجامعة الإسلامية
د. عبد المجيد بن عثمان اليتيمي
أستاذ أصول اللغة المشارك بالجامعة الإسلامية
أ.د. عبدالله بن عويقل السلمي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الملك عبدالعزيز
أ.د. علي بن محمد الحمود
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
أ.د. عبد الرحمن بن مصطفى السليمان
أستاذ اللّغات والآداب السامية والترجمة بجامعة لوفان – بلجيكا
أ.د. علاء محمد رأفت السيد
أستاذ النحو والصرف والعروض بجامعة القاهرة – مصر
أ.د. سعيد العوادي
أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب بجامعة القاضي عياض – المغرب
د. الزبير آل الشيخ مبارك
(رئيس قسم النشر)

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد بن يعقوب التركستاني
أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامية
أ.د. محمد محمد أبو موسى
أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر
أ.د. تركي بن سهو العتيبي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
أ.د. سالم بن سليمان الخماش
أستاذ اللغويات بجامعة الملك عبدالعزيز
أ.د. محمد بن مريسي الحارثي
أستاذ الأدب والنقد بجامعة أم القرى
أ.د. ناصر بن سعد الرشيد
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود
أ.د. صالح بن الهادي رمضان
أستاذ الأدب والنقد ـ تونس
أ.د. فايز فلاح القيسي
أستاذ الأدب الأندلسي بجامعة الإمارات العربية المتحدة
أ.د. عمر الصديق عبدالله
أستاذ التربية وتعليم اللغات بجامعة أفريقيا العالمية بالخرطوم
د. سليمان بن محمد العيدي
وكيل وزارة الإعلام سابقاً

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ألا يكون مستلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.
- أن يشتمل البحث على:

- عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
- مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
- كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
- مقدّمة.
- صلب البحث.
- خاتمة تتضمّن النّتائج والتّوصيات.
- ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
- رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.

- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثُه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل – وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنّشر في المجلّة – في أي وعاء من أوعية النّشر – إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
١)	**القاعدة الكلية النحوية عند أبي إسحاق الشاطبي** **المفهوم - السمات - الأقسام- المرادفات** د. أحمد أبكر يوسف مباركي	٩
٢)	**التذكير والتأنيث في القاموس** **دراسة تحليلية في ضوء النقد الرابع والعشرين من كتاب الجاسوس على القاموس** د. مشعل بن عبد الله الهرف	٧٣
٣)	**بلاغة النظم القرآني في سياق آيات السعادة** د. خالد سريان الحربي أ.د. أحمد شتيوي أ.د. أنسام محمد الحسين	١٠٧
٤)	**الفنون البديعية بين الحجاج والإقناع في كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة لعبد الرحمن السديس خطبة الأمانة نموذجًا** د. سحر مصطفَى إبراهيم المِعَنَّا	١٦٥

م	البحث	الصفحة
٥)	**أساليب دفع التوهم عند البلاغيين** **دراسة بلاغية** د. عايد بن سليم الحسيني	٢٣١
٦)	**ثنائيةُ الحضورِ والغِيابِ** **في دِيوان حديقةِ الغروبِ للشّاعرِ غازي القصيبي** د. زاهر بن حسين الفيفي	٢٨٩
٧)	**النظرية النقدية الحديثة ومشكلة التداخل المعرفي** **(ملاذ الأنسنة وإرادة التطابق)** د. موسى بن درباش الزهراني	٣٢٩
٨)	**الوداع في شعر غازي القصيبي** **دراسة موضوعية فنية** د. حسين بن هادي أحمد العبدلي	٣٧٥

الفنون البديعية بين الحجاج والإقناع في كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة لعبد الرحمن السديس خطبة الأمانة نموذجًا

Rhetorical arts between argumentation and persuasion in the constellation of lofty sermons from the pulpit of the Holy Kaaba by Abdul Rahman Al-Sudais the sermon of honest as a model

د. سحر مصطفَى إبراهيم المُعَنَّا

أستاذ البلاغة والنقد بقسم اللغة العربية بكلية الدراسات الإسلامية والعربية لبنات القاهرة جامعة الأزهر وأستاذ البلاغة والنقدِ بقسم اللغة العربية بكلية العلوم والآدابِ بجامعة نجران

البريد الإلكتروني: dr.sahar52015@gmail.com

DOI:10.36046/2356-000-013-012

ملخص البحث

عنوان البحث: **الفنون البديعية بين الحجاج والإقناع في كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة لعبد الرحمن السديس– خطبة الأمانة نموذجًا**

ويهدف هذا البحث إلى:

١– الوقوف على حجاجية الفنون البديعية ودراستها دراسةً تؤكد دورها المهم في تثبيت الفكرة والإقناع بها من خلال خطبة الأمانة .

٢– إبراز سمات وخصائص الإقناع الخطابي للفنون البديعية من خلال الخطبة وإيضاح دوره التأثيري .

٣– الكشف عن كيفية استخدام السديس للفنون البديعية وطريقة توظيفها لإقناع المتلقي والتأثير فيه .

٤– إظهار التنوع الذي تميزت به المحسنات البديعية في الخطبة، وإلى أي مدى أثَّر هذا التنوع في إقناع الجمهور .

٥– إيضاح أثر الخطاب الوعظي بما يشمله من حجج وبراهين في المجتمع وسلوكه .

والمنهج المتَّبع في هذا البحث هو: المنهج الوصفي القائم على التحليل.

ومن نتائج البحث المهمة التي توصلتُ إليها ما يأتي:

١– معظم مقدمات القضايا الحجاجية التي أنتجتها الفنون البديعية في خطبة الأمانة فُهمت من المنطوق القولي، أما النتائج فقد اُسْتَشفت من المنطوق غير القولي للنص.

٢– تنوعت المحسنات البديعية في الخطبة محل الدراسة فقد كان حضورها بمعظم ألوانها وأقسامها وتأثيرها الحجاجي وغايتها الإقناعية.

٣– قد أكثر السديس من استخدام فنون البديع التقابلي والتداولي لاستمالة جمهوره وإقناعهم، أما فنون البديع التكراري فقد كان أقل استخدامًا لها؛

وذلك لما لفنون البديع التقابلي والتداولي من الأثر الأكبر في التأثير والاستمالة، ثم الإقناع والتسليم والقبول.

٤- استطاع السديس أن يوظف الفنون البديعية توظيفًا حجاجيًا مستغلًا ما فيها من طاقات إقناعية تأثيرية، فبدى خطابه خطابًا حجاجيًا إقناعيًا، يحمل طاقات فوق طاقات الكلام، ويحمل معاني ثانية.

الكلمات المفتاحية: (فنون البديع– كوكبة الخطب– الحجاج- الإقناع– عبد الرحمن السديس).

Abstract

Research title: **Rhetorical arts between argumentation and persuasion in the constellation of lofty sermons from the pulpit of the Holy Kaaba by Abdul Rahman Al-Sudais - the sermon of honest as a model**

This research aims to:

1- Stand on the argumentation of rhetorical arts and study it in a way that confirms its important role in establishing the idea and persuading it through the sermon of trust.

2- Highlight the features and characteristics of rhetorical persuasion of rhetorical arts through the sermon and clarify its influential role.

3- Reveal how Al-Sudais used rhetorical arts and the way to employ them to persuade and influence the recipient.

4- Show the diversity of the rhetorical arts in the sermon, and to what extent this diversity affected the persuasion of the audience.

5- Clarify the impact of the sermon speech, including its arguments and evidence, on society and its behavior.

The study adopted the descriptive approach based on analysis.

Among the important research findings that I reached are the following:

1- Most of the introductions to the argumentative issues produced by the rhetorical arts in the sermon about trust were understood from the verbal expression, while the results were inferred from the non-verbal expression of the text.

2- The rhetorical arts in the sermon under study were varied, as they were present in most of their types and sections, their argumentative effect, and their persuasive purpose.

3- Al-Sudais used the arts of contrastive and interactive rhetoric a lot to attract and convince his audience, while the arts of repetitive rhetoric were used less; this is because the arts of contrastive and interactive rhetoric have the greatest impact on influencing and attracting, then persuasion, submission, and acceptance.

4- Al-Sudais was able to employ the arts of rhetoric in an argumentative manner, exploiting their persuasive and influential energies. His speech appeared to be an argumentative and persuasive speech, carrying energies beyond the energies of speech, and carrying secondary meanings.

Keywords: (Arts of rhetoric – collection of sermons - Argumentation - Persuasion - Abdul Rahman Al-Sudais).

المقدمة:

الحمدُ لله الكريم الوهاب، والصلاة والسلام على من أُوتي الحكمة وفصل الخطاب، وخصه المولى بأفضل كتاب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الأمين وَعَلَى آلِهِ أَهْل الطُّهْر والأَمَانَة، وَصَحْبِهِ أُوْلِي الفَضْل وَالعَدَالَة، وَتَابِعِيهِمْ بالإِحْسَان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الحجاج من الموضوعات القديمة التي تستمد قوتها من قدرة المرسل في إيصال رسالته للجمهور، وقد دخلت تلك الموضوعات في الدراسات الحديثة؛ لتكتسب جدتها من المناهج النقدية والفلسفية الحديثة، وتحتفظ بقدمها الذي نجده في كتب التراث العربي الفكري والأدبي، فالحجاج نظرية قديمة تعالجها البلاغة في العصر الحديث، إلا أنه قد حظي منذ أواخر الخمسينات من القرن الماضي بعناية النقاد والمفكرين، ونال اهتمام الدارسين في مختلف العلوم والتوجهات الفلسفية والمنطقية والبلاغية والتداولية.

ويرجع الاهتمام بالحجاج في الدرس البلاغي المعاصر إلى أنه يمد التحليل الخطابي بآفاق واسعة في التأويل، ويبرز مضامين الخطاب المصرح بها وغير المصرح بها، ويكشف عن قدرة الأديب على إقناع جمهوره أو إخفاقه، ويحلل آلياته وتقنياته في ذلك الإقناع، فالحجاج إستراتيجية ووسيلة تحلل الخطابات بمختلف أنواعها السياسية منها والدينية وغيرها، وتهدف هذه الاستراتيجية إلى استهواء واستمالة المتلقي والتأثير فيه، بحيث يقبل بالفكرة ويسلم بها.

وينبني الحجاج على الاختلاف في الرأي وفتح المجال للنقاش والتقويم، ويكون في الخطابات التي تنزع منزعا تأثيريا لا يقين فيه ولا إلزام.

والحجاج الخطابي هو حجاج موجه إلى جمهور ذي أوضاع خاصة في مقامات

خاصة، و"ليس الغاية منه التأثير النظري والعقلي، وإنما يتعداه إلى التأثير العاطفي وإلى إثارة المشاعر والانفعالات، ولو كان ذلك بمخالطته وخداعه وإيهامه بصحة الواقع"(١).

وفنون البديع من الوسائل التي يوظفها الخطيب لبيان أفكاره وإيصال أهدافه والتأثير في السامعين، وإذا كان الحجاج وظيفة طبيعية للغة، فإنه يكون أبرز فيما صيغ منها تحسينًا معنويًا أو تحسينًا لفظيًا؛ فللمحسن البديعي وظيفتان: إحداهما جمالية إمتاعية، والأخرى حجاجية إقناعية، فجمالية المحسن تزيد في قناعة المتلقي؛ إذ يلج ذهنه من الطريق الأقرب.

والخطب من أقدم الفنون الأدبية التي توظف فيها فنون البديع للإقناع، فهي الوسيلة الأولى لشحن الهمم في كل أمر جلل.

ولا نتخيل خطبة تخلو من البديع الذي يكون وسيلة حجاجية إقناعية، كما أنه يلبسها ثوبا قشيبًا تتطرز على أطرفه معانٍ عميقة، وتنسجم في روابط متينة من التقابل والتوازي والإيقاع الذي يجعل المتلقي يتابع بلا ملل، ويستمع بكل وعي دون شرود متعمد، أو هروب مقصود، فالحجاج الخطابي أعلى درجات البلاغة، لأنه وسيلة تأثيرية إقناعية مميزة؛ لذا كانت الخطابة ومازالت فنا نثريا، قوامه الحجاج ومسلكه الإقناع والتأثير في المتلقين.

لأجل ما سبق آثرت أن يكون موضوع بحثي:

الفنون البديعية بين الحجاج والإقناع في كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة لعبد الرحمن السديسي – خطبة الأمانة نموذجًا

(١) عبد الله صولة، "الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية". (ط١، بيروت: دار الفارابي،٢٠٠١ م)، ص ١٧ –١٨.

أهمية الموضوع:

تتمثل أهمية الموضوع في كونه غاية حجاجية تهدف إلى إذعان العقول لما يطرح إليها من آراء، أو أن تزيد في درجة ذلك الإذعان لتقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعث المتلقين على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه.

هذا وتكتسب خطب عبد الرحمن السديس أهميتها من أنها تتصل بمكان من أكثر الأماكن قدسية وهو البيت الحرام، وما لهذا من الأثر العظيم في نفوس المتلقين من الأمة الإسلامية.

أسباب اختيار الموضوع:

١) قلة الدراسات الحجاجية والإقناعية في الأنواع الأدبية المؤثرة في المجتمع وخصوصا الخطاب الوعظي.

٢) تسليط الضوء على الحجاج والإقناع في الخطاب الوعظي، لما له من التأثير القوي على فكر المجتمع وسلوكه.

٣) قدرة السديس الكبيرة على الإقناع بخطبه المليئة بالحجج والبراهين المقنعة؛ إذ إنه يمتاز ببلاغة الأسلوب، والإلقاء المؤثر، والطريقة الجاذبة المستميلة.

٤) التعرف على طريقة استخدام السديس للفنون البديعية في خطبة الأمانة، وكيفية توظيفها حجاجيًا للوصول إلى غاية إقناعية.

أهداف البحث:

١) الوقوف على حجاجية الفنون البديعية ودراستها دراسةً تؤكد دورها المهم في تثبيت الفكرة والإقناع بها من خلال خطبة الأمانة.

٢) إبراز سمات وخصائص الإقناع الخطابي للفنون البديعية من خلال الخطبة وإيضاح دوره التأثيري.

٣) الكشف عن كيفية استخدام السديس للمحسنات البديعية وطريقة توظيفها

لإقناع المتلقي والتأثير فيه.

٤) إظهار التنوع الذي تميزت به المحسنات البديعية في الخطبة، وإلى أي مدى أثَّر هذا التنوع في إقناع الجمهور.

٥) إيضاح أثر الخطاب الوعظي بما يشمله من حجج وبراهين في المجتمع وسلوكه.

ويشتمل البحث على: مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

المقدمة: اشتملت على: أهمية البحث وأسباب اختياره، وأهدافه، ومنهجه، وخطته، والدراسات السابقة.

التمهيد: يشتمل على: مفهوم كل من الحجاج والخطابة والبديع بين التراث العربي والدرس المعاصر.

المبحث الأول: يشتمل على: البديع بين الذاتية والعرضية– نص خطبة الأمانة.

المبحث الثاني: فنون البديع التقابلي بين الحجاج والإقناع في خطبة الأمانة.

المبحث الثالث: فنون البديع التداولي بين الحجاج والإقناع في خطبة الأمانة.

المبحث الرابع: فنون البديع التكراري بين الحجاج والإقناع في خطبة الأمانة.

الخاتمة: وفيها النتائج المهمة التي توصلتُ إليها من خلال هذا البحث، وكذلك التوصيات.

وقد نهجت في هذا البحث المنهج الوصفي القائم على التحليل، مستعينةً بمعطيات الدرس الحجاجي.

الدراسات السابقة:

لم أجد فيما بحثتُ دراسات سابقة في الفنون البديعية بين الحجاج والإقناع في خطبة الأمانة للشيخ السديس قامَ بهَا الباحثون من قبلي، وفِي أثناءِ بحثِي، وجدتُ دراسة تحت عنوان:

الوظيفة الحجاجية للاستعارة: (خطب الشيخ عبد الرحمن السديس نموذجا) لـ د. حصة بنت سعود الهزاني، هذا البحث منشور في المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، والبحث يتناول خطب السديس من الجوانب الحجاجية في توظيف الاستعارة بوصفها أداة تفكير وبناء معرفي يؤثر في النص والمتلقي، وذلك في سبع خطب من خطب الشيخ، وهذه الدراسة تختلف تمام الاختلاف عن دراستي؛ حيث إني لم أقترب من الصورة البيانية في البحث، كما أن الباحثة جعلت دراستها في سبع خطب تتعلق بالإرهاب وما يرتبط به من مفاهيم مغلوطة وأفكار منحرفة، أما دراستي فكانت في خطبة واحدة (الأمانة: مفهومها ومكانتها).

وكذلك وجدتُ دراسة أخرى بعنوان: بلاغة الحجاج في خطب عبد الرحمن السديس للباحثة مرام علي فرحان، وقد تناولت الباحثة خطب السديس في ضوء معطيات البلاغة الجديدة، وطبقا لمنهج بيرلمان وتيتيكا في تناولهما الحجاجي طبقت نظرية الحجاج على خطب السديس عموما ولم تحدد خطبة بعينها للدراسة كما فعلتُ في دراستي، كما أن الباحثة تناولت بلاغة الحجاج جميعها في دراستها من معانٍ وتصوير وبديعٍ، أما دراستي فقد عنيت بإبراز حجاجية فنون البديع وإقناعيتها فقط.

وعلى كل حال، فإن الدراسات السابقة بعيدة عن دراستي، وليس معنى هذا أني لم أستفد منها، فقد ساعدتني هذه الأبحاث في الدراسة التي قمتُ بها، إذ فتحتْ لي أبوابًا لم تكن تُفتح لي إن لم أطَّلع عليها.

وقد استقيتُ بحثي هذا من كتب الحجاج والبلاغة والتفاسير وكتب اللغة.

والله من وراء القصد، وهو ولي التوفيق، نسأله السداد في القول والإخلاص في العمل.

التمهيد:

مفهوم كل من الحجاج والخطابة والبديع بين التراث العربي والدرس المعاصر

أولًا: مفهوم الحجاج:

الحجاج في اللغة:

قد وردت مادة (ح ج ج) في المعاجم بمختلف مشتقاتها، فـ"الحج: القصد، حجّ إلينا فلانًا، أي: قدم، وحجه يحجه حجًا: قصده، والحُجة: البرهان، وقيل: ما دفع به عن الخصم... والحجة: الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، ورجل محجاج أي: جدل، وحجه يحجه حجًا، أي: غلبه على محجته، وحاججته أحاجه حجاجًا، ومحاجة حتى حججته أي: غلبه بالحجج التي أدليت بها"(١).

"ورجل محاجج أي: جدل، والتحاج والتخاصم واحد، وجمع الحجة: حجج وحجاج"(٢).

قال الجرجاني: "الحجة ما دلّ على خصومة الدعوى، وقيل: الحجة، والدليل واحد"(٣).

إذن أصل الحجاج هو الخصومة والنزاع بطرح الأدلة والبراهين التي يمتلكها المحاجج، وكذلك الحجاج هو الجدل بالتي هي أحسن.

ومما لا شك فيه أن البلاغة العربية القديمة قد تناولت قضية الحجاج، فقد ورد

(١) محمد بن مكرم ابن منظور، "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩م)، مادة: "ح-ج-ج".

(٢) ابن منظور، "لسان العرب"، مادة (ح ج ج).

(٣) علي بن محمد بن علي الجرجاني، "التعريفات". تحقيق إبراهيم الأنباري، (ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ)، ص ١١٢.

مصطلح الحجاج في كتب البلاغة العربية القديمة، حتى إن صاحب الصناعتين خصص له فصلًا تحت اسم: الاستشهاد والاحتجاج قائلًا: "وهذا الجنس كثير في كلام القدماء والمحدثين، وهو أحسن ما يتعاطى من أجناس صنعة الشعر، ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى، وهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر مجرى الاستشهاد على الأول والحجة على صحته"(١).

والجاحظ أعطى مفهوما للبلاغة فقال: "جماع البلاغة البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة، أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها، وربما كان الإضراب عنها صفحًا أبلغ في الدرك وأحق بالظفر"(٢).

وسئل العتابي عن البليغ فأجاب: "كل ما أفهمك حاجته من غير إعادة...فهو بليغ، فإن أردت اللسان الذي يروق الألسنة... فإظهار ما غمض من الحق، وتصوير الباطل في صورة الحق"(٣)، فتعريف العتابي للبليغ بأنه هو الذي يُظهر الحق الذي كان غامضًا، ويُخرج الباطل في صورة الحق، يشير إلى الغاية الإقناعية للبلاغة، وهي الغاية نفسها للحجاج.

وما جاء عن حازم القرطاجني من نحو قوله: " وكان القصد في التخييل والإقناع حمل النفوس على فعل شيء، أو اعتقاده، أو التخلي عن فعله واعتقاده"(٤)

(١) أبو هلال العسكري، "الصناعتين". تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: المكتبة العنصرية، ١٤١٩هـ)، ص ٤١٦.

(٢) عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ، "البيان والتبيين". تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ)، ج١: ص ٨٨.

(٣) الجاحظ، "البيان والتبيين"، ص ١١٣.

(٤) حازم القرطاجني، "منهاج البلغاء وسراج الأدباء". تحقيق/ محمد الحبيب بن الخوجة، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١م)، ص ١٩.

فالقرطاجني لم يقف عند الصياغة الجمالية بل تابع المسار إلى غايته النهائية وهي لحظة التلقي والاستجابة، وتوجيه السلوك نحو الفعل أو الترك.

وهكذا دار مفهوم الحجاج عند العرب –غير بعيد عن معناه اللغوي– حول جعل السامع يذعن لقضية أو يستسلم لرأي، أو يفعل شيئا، أو يقلع عن فعل عن طريق الحجة.

وفي البحث المعاصر نما الحجاج وتوسع، مستفيدًا من الدرسين: اللساني، والنقدي، ومعارف إنسانية عامة.

الحجاج في الاصطلاح:

هو "إجراء يستهدف من خلاله شخص ما حمل مخاطبه على تبني موقف معين عبر اللجوء إلى حجج تستهدف إبراز هذا الموقف أو صحة أسسه، فهو إذن عملية هدفها إقناع الآخر والتأثير عليه"(١).

ويعرِّفه دومينيك مانغينو Dominique Maingueneau بأنه: "آلية موجهة إلى جعل بعض النتائج مقبولة من قبل جمهور معين في ظرف معين"(٢).

وعرفه بيرلمان في مؤلفه: (مصنف في الحجاج)، بأنه: "درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"(٣).

---

(١) أبو الزهراء، "دروس الحجاج الفلسفي ". (المغرب: مجلة الشبكة التربوية الشاملة، ٢٠٠٨م)، ص ٥.

(2) Dominique Maingueneau: Pragmatique pour le Discours Littéraire. Bordas, Paris (1), 1990, p35.

(3) Ch. perelman & O. tyteca Trait de l argumentation: La nouvelle rhetorique. preface de Michel Meyer.del universite de Broxelles 1992 p.5.

نقلا عن محمد سالم محمد الأمين الطلبة، "الحجاج في البلاغة المعاصرة: "بحث في بلاغة النقد =

فبرلمان قد جعل الحجاج: " جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي: حمل المتلقي على الاقتناع بما تعرضه عليه أو الزيادة في حجم الاقتناع"(١)، فالحجاج إذًا هدفه الأساس: هو إقناع المتلقي، والتأثير فيه، ويعتمد على استخدام الحجة وإقامتها، ومجاله هو توجيه الفعل وتثبت الاعتقاد أو صنعه.

والحجاج: "عملية منظمة للقول، وتقديم الحجج تنتهي بشكل كلي إلى تأكيد النتيجة نفسها، فهو طريقة في تنظيم الحجج واستعراضها أو تقديمها"(٢).

ثانيًا: مفهوم الخطابة:

الخطابة في اللغة:

قال في القاموس: "وخطب الخاطب على المنبر خطابة بالفتح، وخطبة بالضم، وذلك الكلام خطبة أيضا، أو هي الكلام المنثور المسجع ونحوه، ورجل خطيب حسن الخطبة بالضم"(٣).

وقال في تهذيب اللغة: "والخطبة مصدر الخطيب، وهو يخطب المرأة ويخطبها خطبة... قلت: والذي قال الليث أن الخطبة مصدر الخطيب لا يجوز إلا على وجه واحد، وهو أن الخطبة اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب، فيوضع موضع المصدر،

=

المعاصر". (ط١، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٨م)، ص١٠٧.

سامية الدريدي، "الحجاج في الشعر العربي القديم". (الأردن: دار عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٨)، ص ٢١.

(٢) حافظ إسماعيلي علوي، "الحجاج، مفهومه ومجالاته". (ط١ عمان: عالم الكتب الحديثة، ٢٠١٠)، ج ١: ٢٠.

(٣) مجد الدين الفيروزآبادى، "القاموس المحيط". تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، (ط٨، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م)، (مادة:(خ-ط-ب).

والعرب تقول: فلان خطب فلانة، إذا كان يخطبها"[١].

وفي ضوء ما سبق نستطيع أن نقول: إن مادة الكلمة المكونة من: (الخاء والطاء والباء) تدور حول معنيين رئيسين:

١) ملكة البيان وفصاحة اللسان.

٢) إظهار الرغبة في النكاح.

أما في الاصطلاح فعرفها أرسطو بأنها: "قوة تتكلف الإقناع الممكن"[٢].

وقال بعضهم: "إنها هي الكلام المؤلف المتضمن وعظا وإبلاغا"[٣]، وبعضهم قال: "إنها قياس مركب من مقدمات مقبولة أومظنونة، من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم"[٤].

أما عن الخطابة في الدرس المعاصر فقد عرفها بعض المعاصرين بأنها: "فن من فنون الكلام، يقصد به التأثير في الجمهور عن طريق السمع والبصر معا"[٥].

ويعرفها الدكتور/ أحمد الحوفي بقوله: "هي فن مشافهة الجمهور وإقناعه

(١) محمد بن أحمد بن الأزهري، "تهذيب اللغة ". تحقيق: محمد عوض مرعب، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م)، مادة: (خ–ط–ب)

(٢) أرسطو طاليس، "الخطابة، الترجمة العربية القديمة". تحقيق: عبد الرحمن بدوي، (دمشق: دار القلم، ١٩٧٩م)، ص ٩.

(٣) أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف النووي، "تحرير ألفاظ التنبيه". تحقيق: عبد الغني الدقر، (ط١، دمشق: دار القلم، ١٤٠٨ م)، ص ٨٤ — ٨٥.

(٤) الجرجاني، "التعريفات"، ص٩٩.

(٥) مصلح سيد بيومي، "الخطابة في الإسلام ". (ط٢، القاهرة: متفرقات مصرية، ١٩٨٨م)، ص١١.

واستمالته"[١].

ويعرفها الدكتور: عبد الجليل شلبي فيقول: "الخطابة هي: (فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة"[٢].

وبالنظر والتأمل في كل ما سبق من تعريفات عند المعاصرين نلاحظ أن الخطابة قد ضمت إلى الإقناع استمالة الوجدان وإثارة العواطف، "إلا أنها قصرتْ الخطابة على فن التطبيق مع أنها علم له قواعده وأصوله، صحيح أن التطبيق ينبني على قواعد وأسس، لكن قصر التعريف على الفن يجعله منطبقًا على الخطابة الفطرية"[٣].

و"التعريف الأنسب للخطابة هو أنها: علم يقتدر بتطبيق قواعده على مشافهة الجماهير لمحاولة التأثير في نفوسهم وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم وإقناعهم"[٤].

وعناصر الخطابة التداولية: الخطيب، والجمهور، والخطبة، فلا بد من استمالة المستمعين بكافة الوسائل ومن قبل ذلك لا بد للخطيب أن يقنع سامعيه ويؤيد رأيه بالبراهين والحجج ليعتقدوا رأيه أو يسلم من معارضتهم إياه.

ومن ذلك يتضح أن أسس الخطابة تتكون من: مشافهة، جمهور، إقناع، استمالة، والخطابة تستدعي القدرة على صياغة الكلام بأسلوب يمكّن الخطيب من التأثير على نفوس السامعين.

---

(١) أحمد الحوفي، "فن الخطابة". (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٥ م)، ص ٥.

(٢) عبد الجليل شلبي، "الخطابة وإعداد الخطيب". (ط٣، القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م)، ج ١: ١٥.

(٣) أحمد غلوش، "قواعد الخطابة وفقه الجمعة والعيدين". (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩)، ص٩.

(٤) غلوش، "قواعد الخطابة وفقه الجمعة والعيدين"، ص٩.

والبلاغيون يحددون ثلاث وظائف لفن القول الخطابي وهي: الإفادة والإمتاع والإثارة، وإذا كان البلاغيون يشددون على هذه الوظائف في تقديم الخطابة فالواقع أن هذه السمات لا تغادر ذهن الخطيب على امتداد كل مراحل نص الخطابة؛ إذ "أهم غايات الخطابة التأثير البلاغي عن طريق الألفاظ والتراكيب التي يجب أن تمس العاطفة وتذكرنا بالمثل العليا وتهدف إلى إقناع الجمهور"(١).

ثالثًا: مفهوم البديع:

البديع في اللغة:

جاء في لسان العرب: بدع الشيء يبدعه بدعا وابتدعه: أنشأه وبدأه، وبدع الركية: استنبطها وأحدثها، وابتدع الشيء: اخترعه لا على مثال"(٢).

وتدور كلمة: البديع في مجملها حول الشيء الجديد المخترع الذي ليس له مثال سابق.

البديع اصطلاحا:

في معجم المصطلحات، يعرف البديع على أنه: "تزيين الألفاظ أو المعاني بألوان بديعة من الجمال اللفظي أو المعنوي، ويسمى العلم الجامع لطرق التزيين"(٣).

أما في اصطلاح البلاغيين فيعرفه الخطيب القزويني بقوله: "هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة"(٤).

(١) عمر فروخ، "تاريخ الأدب العربي". (ط٤، بيروت: دار القلم للملايين، ١٩٨١م)، ص ٨٣.

(٢) ابن منظور، "لسان العرب"، مادة: (ب–د–ع)

(٣) مجدي وهبة وكامل المهندس، "معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب". (ط٢، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤م)، ص٧٦.

(٤)جلال الدين الخطيب القزويني، "الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع. تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، (ط٣، بيروت: دار الجيل)، ص ٣٤٨.

وفنون البديع تعد محور أساسٍ في الخطب، وليس أدل من ذلك من أن تتأسس الخطب على السجع والجناس والمشاكلة بين المفردات، لإثرائها بالجرس الموسيقي، والطاقة الحافلة بالأثر السمعي، وها هو قدامة بن جعفر يبرز أهمية السجع في الكلام المنثور على غرار الخطبة قائلا: "إن من أوصاف البلاغة أيضا السجع في موضعه، وعند سماحة القريحة به، وأن يكون في بعض الكلام لا في جميعه، فإن السجع في الكلام كمثل القافية في الشعر..."(١).

وقد جعل أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) أيضا، من السجع خاصية إيقاعية للنثر مقابلة للوزن بالنسبة للشعر، وأساس الخطبة وجمالها، على اعتبار أنه: "لا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجا، ولا تكاد تجد لبليغ كلاما يخلو من الازدواج"(٢).

ويرى أحد المعاصرين –الشحات أبو ستيت– بعد دراسته المنهجية لألوان البديع: "أن فنون البديع إذا جاءت غير متكلفة وكان لها أثر في الأسلوب يقتضيه المقام فإنها تكون محسنًا ذاتيًا ولا فرق بينها وبين الصور البلاغية الأخرى التي تدخل في علمي المعاني والبيان"(٣)؛ فضرورة حضور البديع في الخطب أمر لا ينكره عاقل ولا يقلل من شأنه إلا جاهل.

والمحسنات البديعية في خطب السديس تأتي؛ لإقامة الحجة على المخاطب، والتأثير عليه، وإقناعه بفنيات مختلفة؛ فالحجاج بالبديع يسعى إلى الإفهام والتبيين من

(١) إسحاق إبراهيم أبو الحسن، "البرهان في وجوه البيان". تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، (ط١ بغداد: جامعة بغداد، ١٣٨٧هـ،١٩٦٧م)، ص١٠٧.

(٢) العسكري، "الصناعتين"، ص٢٩.

(٣) الشحات محمد أبو ستيت، "دراسات منهجية في علم البديع". (القاهرة: مكتبة وهبة للطباعة والنشر، ١٩٩٤م)، ص ٢٦٦

جهة وتقوية الأسلوب من جهة أخرى، مما يعطي ديناميكية خاصة للتعبير، ويساهم البديع كذلك بالحجاج: "في الإحاطة بالمفهوم وإيداع تصديقات تخيلية آتية للنهوض بالحجة، ويجعل القارئ يتعمق في تلك الألفاظ المتوازية وتلك الحقيقة والقيمة الوظيفية"(١).

كما "يدعو البديع إلى تحريك مشاعر المتلقي ويؤدي به إلى تثقيف الذوق وجلب الأنس للسامع وإمتاع الإحساس"(٢).

(١) سعيد العوادي، "البديع في الخطاب الشعري من التحسين إلى التكوين". (ط١، المغرب: كنوز المعرفة، ٢٠١٤م)، ص٣٣٢.

(٢) علوي، "الحجاج مفهومه ومجالاته: نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة "، ج١: ص.١٢٨.

المبحث الأول: البديع بين الذاتية والعرضية:

منذ أن كتب العلماء في فنون البلاغة، وألفت فيها المؤلفات وحتى عصر الزمخشرى لا تعرف تقسيما ولا تمييزا، فكانت تدرس تلك الفنون على أن حسنها حسن ذاتي يقتضيه المقام ويستدعيه الكلام، كحديث عبد القاهر عن بعض فنون البديع مثل: الجناس والسجع والمزاوجة والتقسيم وحسن التعليل، وقد أبرز في هذا الحديث المزايا البلاغية لتلك الفنون، وبّين أن الحسن الكامن وراءها حسن ذاتي يرجع إلى المعنى، وما يقتضيه المقام.

وبعد الزمخشري جاء السكاكي ليحصر البلاغة في علمي المعاني والبيان، جاعلا فنون البديع وجوهًا يُلجأ إليها لقصد تحسين الكلام، ثم قسم هذه الوجوه إلى قسمين: قسم يرجع إلى المعنى وقسم يرجع إلى اللفظ.

وبعده جاء بدر الدين بن مالك فأطلق على تلك الوجوه: علم البديع وبهذا صارت البلاغة ثلاثة علوم، ثم جاء الخطيب ولخص المفتاح، ثم وضع التلخيص، وفصل البديع فصلا كاملا عن أخويه البيان والمعاني، وصارت البلاغة عند الخطيب ومن تبعه محصورة في علمي المعاني والبيان أما البديع فقد صار علم تحسين وتزيين.

وعرفه الخطيب بقوله: "هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ووضوح الدلالة"(١).

وقد جعل الخطيب هذه المحسنات البديعية نوعين: معنوية ولفظية...

والتقسيم هذا غير موفق لأن فيه فصلا للروح عن الجسد إذ الألفاظ أجساد للمعاني ولا يظهر للألفاظ مزية إلا من خلال النظم والتركيب.

---

(١) جلال الدين بن عبد الرحمن الخطيب القزويني، "تلخيص المفتاح في المعاني والبيان". تحقيق: ياسين الأيوبي، (ط١، بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ٢٠١٤م)، ٣١٥.

هذا ونظرة المتأخرين – الخطيب وأتباعه – إلى فنون البديع على أنها مجرد محسنات حسنها حسن عرضي يأتي بعد تمام المطابقة ووضوح الدلالة نظرة غير سديدة، ولا تتمشى مع نظرة المتقدمين الذين جعلوا الحسن في تلك الفنون حسنا ذاتيا يقتضيه المقام، ويدعو إليه الحال؛ ولذا وجدنا غير واحد من المتأخرين يخالف الخطيب معلنًا أن تحسين (البديع) تحسين ذاتي وليس عرضيًا، ومن هؤلاء: بهاء الدين السبكي صاحب عروس الأفراح، والشيخ أحمد موسى في كتابه (الصبغ البديعي).

يقول السبكي معلقا على تعريف الخطيب السابق : "يحتمل أن يراد بعد معرفة رعاية تطبيقه ووضوح الدلالة، ويكون المراد: قواعد يعرف بها وجوه التحسين ووجوه التطبيق، ومعرفة التطبيق والوضوح سابقان على معرفة التحسين، فيكون المعاني و البياني جزءين للبديع، و يحتمل انه قواعد يعرف بها بعد معرفة التطبيق والوضوح وجوه التحسين، فلا يكون المعاني و البيان جزءين للبديع بل مقدمتين له، و قد صرحوا بأن المراد هو الاول وفي استخراجه من منطوق عبارة المصنف عسر؛ لأنك اذا قلت عرفت زيدا بعد معرفتي لعمرو فالمخبر به معرفة زيد مقيدة بسبق معرفة عمرو لا معرفة زيد وعمرو"[(١)].

ويقول في موضع آخر: "والحق الذي لا ينازع فيه منصف: ان البديع لا يشترط فيه التطبيق ولا وضوح الدلالة، وأن كل واحد من تطبيق الكلام على مقتضى الحال، ومن الايراد بطرق مختلفة، ومن وجوه التحسين قد يوجد دون الآخرين، وأدل برهان على ذلك أنك لا تجدهم في شيء من أمثلة البيان يتعرضون الى بيان اشتمال شيء

(١) بهاء الدين السبكي، "عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح". تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، (ط١، بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م)، ج ٤، ص٢٨٣.

منها على التطبيق، ولا تجدهم في شيء من أمثلة البديع يتعرضون لاشتماله على التطبيق، والايراد بل تجد كثيرا منها خاليا عن التشبيه والاستعارة والكناية التي هي طرق علم البيان، هذا هو الانصاف وإن كان مخالفًا لكلام الاكثرين"(١).

ويقول الشيخ أحمد موسى: إن تعريف بلاغة الكلام الذى ذكره الخطيب بقوله: "هي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته" شامل لهذه الاصباغ مع التوسع في مفهوم الحال بجعله أعم مما ذكروه حتى ينطبق على أحوال البديع، فإذا اقتضى الحال طباقا أو تقسيما أو مزاوجة أو غير ذلك كان الكلام المشتمل عليها مطابقا لمقتضى الحال، وخلوه منها غير مطابق، فيكون في الأول بليغًا، وفي الثاني على خلافه، ذلك أمر تقره الفطرة، ويساعد عليه ما سردناه من شواهد"(٢).

وبهذا يتضح أن الحسن الناجم عن فنون البديع حسن ذاتي له مكانته في البلاغة، ويقتضيه المقام...

أما نظرة الخطيب ومن لف لفه إلى كون هذه الفنون لمجرد الزينة والتذوق، وكون حسنها حسنا عرضيا، فهي نظرة بعيدة عن الصواب تتنافي مع ما تضفيه تلك الفنون على المعاني من جمال ومزايا(٣).

نص الخطبة:

الأمانة مفهومها ومكانتها وآثارها:

"الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَمَرَ بِأَدَاءِ الأَمَانَاتِ، وَرتَّبَ عَلَى ذلِكَ جَزِيلَ العَطَايَا والهِبَاتِ،

---

(١) السبكي، "عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح"، ج ٤: ص٢٨٤.

(٢) أحمد إبراهيم موسى، "الصبغ البديعي في اللغة العربية". (القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٣٨٨ هـ/١٩٦٩ م)، ص ١٦٤.

(٣) ينظر بسيوني فيود، "علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع". (ط٤، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م)، ص١٢١.

وَنَهَى سُبْحَانَهُ عَنِ المَكْرِ والغَدْرِ وَسَائِرِ الخِيَانَاتِ، وَأَوْعَدَ عَلَى ذلِكَ أَلِيْمَ العَذَابِ وَأَشَدَّ العُقُوبَاتِ، أَحْمَدُهُ تَعَالَى وَأَشْكُرُهُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ الصَّادِقِيْنَ الأَمَنَاءَ؛ أَهْلَ البِرِّ وَالظُّهْرِ والخَيْرِ والوَفَاءِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَمِيْنُهُ عَلَى وَحْيِهِ، المَوْصُوفُ بِالصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ، رَغَّبَ أُمَّتَهُ فِي الأَمَانَةِ، وَحَذَرَهَا مِنَ الخِيَانَةِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَهْلِ الطُّهْرِ والأَمَانَةِ، وَصَحْبِهِ أُوْلِي الفَضْلِ وَالعَدَالَةِ، وَتَابِعِيهِمْ بِالخَيْرِ وَالإِحْسَانِ،والدِّيَانَةِ، وَكُلِّ مَنْ تَحَلَّى بِالأَمَانَةِ وَتَخَلَّى عَنِ الخِيَانَةِ إِلى يَوْمِ القِيَامَةِ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ – وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيْثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

يَا عِبَادَ اللهِ، يُرَبِّي الإِسْلَامُ أَتْبَاعَهُ عَلَى خَيْرِ السَّجَايَا وَأَحْسَنِ الخِصَالِ، وَأَفْضَلِ الأَخْلَاقِ، وَأَنْبَلِ الشَّمَائِلِ، وَيَتَرَقَّبُ مِنْ كُلِّ مُتَّبِعٍ لَهُ أَنْ يَكُونَ ذَا نَفْسٍ عَزِيزَةٍ، وَقَلْبٍ حَيٍّ، وَضَمِيرٍ يَقِظ، تُصَانُ بِهِ الحُقُوقُ، وَتُحْرَسُ بِهِ الأَعْمَالُ، وَتُحْفَظُ بِهِ المَسْئُولِيَّاتُ، وَمِنْ ثَمَّ جَاءَ الدِّيْنُ الإِسْلَامِيُّ بِتَرْبِيَةِ أَهْلِ الإِسْلَامِ عَلَى الْتِزَامِ الأَمَانَةِ، وَأَوْجَبَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَكُونَ نَزِيْهَا أَمِيْنَا يَتحَلَّى بِلِبَاسِ العِفَّةِ وَالأَمَانَةِ، وَيَتَخَلَّى عَنِ الغَدْرِ والخِيَانَةِ.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، إِنَّ الأَمَانَةَ عَظِيمٌ قَدْرُهَا، كَبِيْرٌ شَأْنُهَا فِي دِينِ اللَّهِ – عَزَّ وَجَلَّ – وَلِذلِكَ جَاءَ الأَمْرُ بِتَحْقِيقِهَا وَرِعَايَتِهَا؛ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة:٢٨٣]، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [سورة النساء:٥٨]، وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟

أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة الأنفال:٢٧]، وَجَعَلَ سُبْحَانَهُ أَدَاءَ الأَمَانَةِ مِنْ أَعْظَمِ دَلائِلِ الإِيْمَانِ وَأَهَمَّ صِفَاتِ المُؤْمِنِيْنَ؛ فَقَالَ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾ [سورة المؤمنون:٨].

مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ، وَالآيَةُ العُظْمَى فِي شَأْنِ الأَمَانَةِ، وَبَيَانِ مَكَانَتِهَا، وَعِظَمِ مَنْزِلَتِهَا هِيَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾ [سورة الأحزاب:٧٢]، فَيَا لَهَا مِنْ آيَةٍ عَظِيمَةٍ تُبَيِّنُ خُطُورَةَ الأَمْرِ وَعِظَمَ المَسْئُولِيَّةِ؛ حَيْثُ أَشْفَقَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَالجِبَالُ مِنْ حَمْلِ الأَمَانَةِ، وَخَافَتْ مِنْ عَوَاقِبِ حَمْلِهَا؛ لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلى التَّقْصِيرِ فِي ذَلِكَ مِنَ العَذَابِ وَالنَّكَالِ!!

وَفِي السُّنَةِ المُطَهَّرَةِ: قَالَ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ –: «أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»[(١)]؛ كَمَا وَرَدَ فِي السُّنَّةِ: أَنَّ الخِيَانَةَ فِي الأَمَانَةِ مِنْ صِفَاتِ المُنَافِقِينَ؛ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – فِي الصَّحِيحَيْنِ[(٢)]، وَرَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ، وَغَيْرُهُ، عَنْ أَنَسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ: مَا خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ– صلى الله عليه وسلم– إِلا قَالَ: «لَا إِيْمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ»[(٣)].

الله المُسْتَعَانُ عِبَادَ اللهِ، تأملوا – رَحِمَكُمُ اللهُ – خُطُوْرَةَ الأَمْرِ وَعِظَمَ الشَّأْنِ لِهَذِهِ القَضِيَّةِ المُهِمَّةِ الَّتِي ينوء بِحَمْلِهَا الضَّعَافُ المَهَازِيْلُ، وَالظَّلَمَةُ المَجَاهِيْلُ.

أَمَّةَ الإِسْلَام إِذَا عَرَفْنَا قَدْرَ الأَمَانَةِ وَمَكَانَتَهَا فِي دِينِ اللهِ – عَزَّ وَجَلَّ – وَالنُّصُوصَ الوَارِدَةَ فِيْهَا، فَإِنَّهُ يَبْقَىٰ جَانِبٌ مُهِمْ تَجِبُ مَعْرِفَتُهُ لَدَى كُلِّ مُسْلِمٍ، لَا سِيَّمَا

(١) رواه أبو داود (٣٥٣٥)، والترمذي (١٢٦٤)؛ من حديث أبي هريرة– رضي الله عنه–.
(٢) رواه صحيح البخاري (٣٣)، وصحيح مسلم (٥٩)، بلفظ: «آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ».
(٣) المسند (١٣٥٣)، و(مسند أبي يعلى» (٢٨٦٣).

وَقَدْ جَهِلَهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، أَلَا وَهُوَ «مَفْهُومُ الأَمَانَةِ»؛ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ العَامَّةِ يَقْصُرُ الأَمَانَةَ فِي أَضْيقِ مَعَانِيْهَا، حَتَّى لَقَدِ انْحَسَرَ مَفهُومُهَا عِنْدَهُمْ فِي حِفْظِ الوَدَائِعِ فَحَسْبُ، مَعَ أَنَّ حَقِيْقَتَهَا فِي الإِسْلَامِ أَضْخَمُ وَأَثْقَلُ، وَمَفهُومَهَا أَوْسَعُ وَأَشْمَلُ.

إِنَّ الْأَمَانَةَ – فِي شَرْعِ اللَّهِ – عَظِيْمَةُ المَعْنَى، وَاسِعَةُ الدَّلَالَةِ، تَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهَا مَعَانٍ شَتَّى؛ يَجْمَعُهَا: شُعُورُ المُسْلِمِ بِتَبِعَاتِهِ، وَقِيَامُهُ بِمَسْئُولِيَّاتِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُوَكَّلُ إِلَيْهِ وَيُكَلِّفُ بِهِ مِنْ أُمُورِ الدِّيْنِ والدُّنْيَا، وَيَقِينُهُ الجَازِمُ: أَنَّهُ مَسْئُولٌ عَنْهُ أَمَامَ اللهِ– عَزَّ وَجَلَّ–؛ لِيَقُومَ بِكُلِّ مَا أُسْنِدَ إِلَيْهِ مِنْ حُقُوقِ اللهِ وَحُقُوقِ عِبَادِهِ عَلى خَيْرِ وَجْهٍ.

وَقَدِ اتَّفَقَتْ أَقْوالُ أَهْلِ العِلْمِ عَلَى أَنَّ المُرَادَ بِالأَمَانَةِ فِي آيَةِ الأَحْزَابِ[1]: جَمِيعُ التَّكَالِيْفِ الشَّرْعِيَّةِ؛ فَمَنْ قَامَ بِهَا، فَقَدْ أَدَّى الأَمَانَةَ، وَاسْتَحَقَّ ثَوَابَ اللهِ، وَمَنْ تَسَاهَلَ فِيْهَا، فَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْخِيَانَةِ وَمَا تَجْلِبُهُ مِنْ سَخَطٍ وَعُقُوبَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

أَمَّةَ الدِّيَانَةِ وَالأَمَانَةِ، إِنَّ أَعْظَمَ أَمَانَةٍ تَحَمَّلَهَا المُسْلِمُ أَمَانَةُ تَوْحِيْدِ اللهِ– عَزَّ وَجَلَّ–، وَإِفْرَادِهِ بِالعِبَادَةِ، وَإِخْلَاصِ العَمَلِ لَهُ، وَإِنَّ الشِّرْكَ بِهِ سُبْحَانَهُ أَعْظَمُ الظُّلْمِ وَأَشَدُّ الخِيَانَةِ.

لُزُومُ سُنَّةِ المُصْطَفَى– صلى الله عليه وسلم– وَمَنْهَجِ سَلَفِ هَذِهِ الأُمَّةِ أَمَانَةٌ، وَالتَّخَبُطُ فِي طُرُقِ الغَوَايَةِ وَالبِدْعَةِ وَالضَّلَالَةِ خِيَانَةٌ للَّهِ وَرَسُولِهِ– صلى الله عليه وسلم–؛ وَاللَّهُ– عَزَّ وَجَلَّ– قَدْ قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة الأنفال:٢٧].

تَحْكِيمُ شَرِيعَةِ اللهِ، وَالحُكْمُ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ– صلى الله عليه وسلم–: أَمَانَةٌ عَظِيْمَةٌ، وَتَحْكِيْمُ غَيْرِ شَرْعِ اللهِ مِنْ قَوَانِيْنِ الْجَاهِلِيَّةِ: خِيَانَةٌ فَادِحَةٌ.

هَذَا فِي بَعْضِ أُمُورِ العَقِيدَةِ وَالمُتَابَعَةِ.

(١) ينظر ابن عطية الأندلسي، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ)، ج١٢: ص ١٢٦.

أَمَّا العِبَادَاتُ: فَهِيَ جَمِيْعًا أَمَانَاتٌ فِي عُنُقِ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ؛ فَالوُضُوءُ أَمَانةٌ، والغُسْلُ مِنَ الجَنَابَةِ أَمَانَةٌ، والصَّلَاةُ أَمَانَةٌ، وَكَذَلِكَ الزَّكَاةُ وَالصِّيَامُ وَالحَج وَغَيْرُهَا. أُمُورُ السُّلُوكِ وَالْأَخْلَاقِ، مِنَ الصِّدْقِ وَالوَفَاءِ، وَالبِرِّ والصَّلَةِ، والحِلْمِ وَالصَّفْحِ، وَالجُودِ والصَّبْرِ، والحَيَاء والإخاءِ: أَمَانَةٌ، وَضِدُّهَا؛ مِنَ الكَذِبِ والغِشّ، والقَطِيْعَةِ والجَهْل: خِيَانَةٌ، وَكَذَا الكَبَائِرُ وَالمُحَرَّمَاتُ، وَسَائِرُ الذُّنُوبِ والمعَاصِي مِنَ القَتْلِ وَالزِّنَى، والسِّحْرِ والشَّعْوَذَةِ، والسَّرِقَةِ والغَصْبِ والاخْتِلاس، والغِيْبَةِ والنَّمِيمَةِ، والبُهْتَانِ والحَسَدِ، والبَغْضَاءِ والحِقْدِ والشَّحْنَاءِ: كُلُّهَا مِنْ ضُرُوب الخِيَانةِ.

المُعَامَلَاتُ بَيْنَ النَّاسِ؛ مِنْ بَيْعٍ وَشِرَاءٍ، وَتِجَارَةٍ وَإِجَارَةٍ، وَنَحْوِهَا: مِنْ أَهَمِّ جَوَانِبِ الأَمَانَةِ؛ فَلَا يَجُوزُ فِيْهَا النَّجْش والغِش، والتَّدْلِيْ والتَّزْوِيرُ وَكَتْمُ العُيُوبِ؛ كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الخِيَانَةِ.

الوَظَائِفُ العَامَّةُ الَّتِي اؤْتُمِنَ عَلَيْهَا المُوَظَّفُونَ مِنْ قِبَلِ وَلَاةِ الأَمْرِ: أَمَانَاتٌ فِي أَعْنَاقِ المُوَظَّفِيْنَ، يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّقُوا اللهَ فِيْهَا، وَيَكُونُوا عِنْدَ حُسْنِ الظَّنِّ بِهِمْ، أَمَانَةٌ وَكَفاءَةً وَنَزَاهَةٌ، وَأَنْ يَقُومُوا بِهَا حَقَّ قِيَامٍ؛ امْتِثَالاً لأَمْرِ اللهِ، وَطَاعَةً لِرَسُولِهِ، وَنُصْحًا لِوُلَاةِ الأَمْرِ، وقِيَامًا بِمَصَالِحِ المُسْلِمِيْنَ؛ فَاتَّقُوا اللهَ – أَيُّهَا المُوَظَّفُونَ فِيْمَا أَنِيْطَ بِكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ، وَإِيَّاكُمْ وَالاِسْتِهَانَةَ بِحُقُوقِ عِبَادِ اللهِ والتساهل وَالتَّسْوِيْفَ فِي إِنْجَازِ مُعَامَلَاتِهِمْ، وَإِغْلَاقَ الأَبْوَابِ أَمَامَ المُرَاجِعِيْنَ لأُمُورٍ لَيْسَتْ مِنْ مَصَالِحِ المُسْلِمِيْنَ، فَتِلْكَ مِنْ جَوَانِبِ الغِضُ لِلْمُسْلِمِيْنَ وَالخِيَانَةِ لِوُلَاةِ أَمْرِ المُسْلِمِيْنَ.

مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ، العِلْمُ أَمَانَةٌ، فَعَلى العُلَمَاءِ وَالمُدَرِّسِينَ وَطَلَبَةِ العِلْمِ وَحَمَلَةِ الشَّهَادَاتِ العُلْيَا: أَنْ يُؤَدُّوا الأَمَانَةَ الَّتِي فِي أَعْنَاقِهِمْ بِالبَلَاغ وَالبَيَانِ وَالتَّرْبِيَةِ؛ حَتَّى يَعُمَّ النَّفْعُ وَيَتَوَارَى الجَهْلُ.

الدَّعْوَةُ إِلى اللهِ، وَأَعْمَالُ الحِسْبَةِ، أَمَانَاتٌ عَظِيْمَةٌ فِي أَعْنَاقِ المُسْلِمِيْنَ، وَالتَّقْصِيرُ فِيهَا مِنْ أَفْدَحِ الخِيَانَةِ لِلأُمَّةِ.

قَنَوَاتُ التَّوْجِيْهِ والفِكْرِ، والثَّقَافَةِ وَمَنَاهِجِ التَّعْلِيْمِ، وَمَا قَذَفَتْ بِهِ المَدَنِيَّةُ الحَدِيثَةُ

مِنْ قَنَوَاتِ الاتِّصَالِ، وَوَسَائِلِ الإِعْلَامِ: أَمَانَةٌ فِي يَدِ مَنِ اؤْتُمِنُوا عَلَيْهَا، يَجِبُ أَنْ تُسَخَّرَ لِخِدْمَةِ الإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِيْنَ.

العُقُودُ والـمُناقَصَاتُ، وَمَشَارِيعُ المُؤسَّسَاتِ وَالشَّرِكَاتِ، وَالمَرَافِقُ العَامَّةُ: أَمَانَةٌ عَظِيمَةٌ.

الْوَقْتُ وَالشَّبَابُ، وَالقُوَّةُ وَالصَّحَةُ وَالفُتُوَّةُ: أَمَانَاتٌ يَجِبُ أَنْ تُشْغَلَ بِطَاعَةِ اللهِ.

الجَوَارِحُ؛ مِنْ سَمْعٍ وَبَصَرٍ، وَفُؤَادٍ وَلِسَانٍ: أَمَانَاتٌ وَوَدَائِعُ عِنْدَ المُسْلِمُ يَجِبُ أَنْ تُسَخَّرَ فِيْمَا يُرْضِي اللَّهَ – عَزَّ وَجَلَّ. وَأَنْ تُصَانَ عَنْ أَلْوَانِ السَّمَاعِ المُحَرَّمِ، وَالنَّظَرِ المُحَرَّمِ، والاطلاع المُحَرَّم؛ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [سورة الإسراء:٣٦]. العَلَاقَاتُ الزَّوْجِيَّةُ، وَالشئونُ الأَسْرِيَّةُ: أَمَانَةٌ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ وَأَفْرَادِ الأُسْرَةِ؛ فَلَا تُشَاعُ الأَسْرَارُ، وَلاَ تُذَاعُ الأَخْبَارُ.

الأَوْلَادُ أَمَانَةٌ فِي عُنُقِ الآبَاءِ وَالأُمَّهَاتِ، يَجِبُ أَنْ يَحْرِصُوا عَلَىٰ تَرْبِيَتِهِمْ وتنشئتهم تَنْشِئَةً سَلِيْمَةً، وَصِيَانَتِهِمْ عَنْ قُرَنَاءِ السُّوءِ.

والكَلِمَةُ أَمَانَةٌ يجَبُ أَنْ يَعِيَهَا حَمَلَةُ الأَقْلَامِ، وَصُنَّاعُ الحَرْفِ والكَلِمَةِ، وَأَرْبَابُ المَنَابِرِ.

حُقُوقُ المَجَالِسِ، وَعَوْرَاتُ المُسْلِمِينَ وَأَسْرَارُهُمْ: كُلُّ ذَلِكَ أَمَانَةٌ؛ وَكَمْ مِنْ حِبَالِ مَوَدَّةٍ تَقَطَّعَتْ، وَعَلَامَاتِ صَدَاقةٍ تَصَرَّمَتْ(١)، وَمَصَالِحَ تَعَطَّلَتْ؛ لِلاسْتِهَانَةِ بِمِثْلِ هَذِهِ الأُمُورِ، وَإِطْلَاقِ الكَلَامِ عَلَىٰ عَوَاهِنِهِ(٢)!

(١) تَصَرَّمَتْ، أي: تقطَّعت. «اللسان» (صرم).

(٢) من أمثال العرب قولهم: أطلَقَ الكَلامَ على عواهنه أي: لم يَتَدَبَّرْهُ، فَلا يَرُمُّهُ وَلاَ يَخْطِمُهُ، وَقيل: هو إذا لم يُبَالِ أصاب أم أخطأ، وقيل: هو إذا تهاون به، وقيل: هو إذا قاله من قبيحه وحسنه. انظر: «مجمع الأمثال» (١/٣٠٨)، و«اللسان» (عهن).

الـمَرْأَةُ أَمَانَـةٌ، حِجَابُهَا وَعَفَافُهَـا وحِشْـمَتُهَا، وَبُعْـدُهَا عَـنِ الرِّجَـالِ: أَمَانَـةٌ، وَكَـذَا قَرَارُهَا فِي البَيْتِ وَقِوَامَةُ الرَّجُلِ عَلَيْهَا، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الأَمَانَةِ.

الأَمْـوَالُ العَامَّـةُ وَالخَاصَّـةُ أَمَانَـةٌ عِنْـدَ مَـنْ أَفَـاءَ اللَّهُ عَلَيْـهِ، يَجِـبُ أَنْ يَصْـرِفَهَا فِي حُقوقِهَا الشَّرْعِيَّةِ

وَهَكَـذَا – إِخْوَةَ الإِسْلَام – تَجَلَّى لَنَا مَفْهُـومُ هَـذِهِ الكَلِمَـةِ العَظِيمَـةِ، وَلَا عَجَـبَ أَنْ أَثْقَلَتْ كَاهِلَ الوُجُودِ كُلِّهِ حَتَّى أَشْفَقَ مِنْ حَمْلِهَا[1]؛ فَلَا يَجُوزُ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَسْتَهِيْنَ بِهَا، أَوْ يُفَرِّطَ فِي حَقِّهَا بِكُلِّ مَا تَحْمِلُهُ مِنْ مَعْنَى.

أُمَّـةَ الإِسْـلَامِ، إِنَّ مِقْيَـاسَ حَضَـارَةِ الأُمَـمِ، وَمِعْيَـارَ رُقِيِّهَـا وَتَقَـدُّمِهَا؛ إِنَّمَـا هُـوَ بِنَزَاهَـةِ أَفْرَادِهَـا، وَأَمَانَـة أَبْنَائِهَـا؛ فَلَا خَيْرَ فِي أُمَّـةٍ سَـادَتْهَا الخِيَانَـةُ، وَاسْتَشْرَى فِيْهَـا الفَسَـادُ والغَـدْرُ، وَالإِضَـاعَةُ وَالـمَكْرُ، وَلاَ تَـزَالُ الأُمَّـة بِخَيْرٍ مَـا دَامَـتْ قَائِمَـةً بالأَمَانَةِ، وَإِذَا اخْتَلَّ هَـذَا الأَمْـرُ: تَصَدَّعَ بُنْيَانُهَا، وَاخْتَلَ نِظَامُهَا، وَاسْتَشْرَى فِيْهَا الفَسَادُ بِجَمِيعِ جَوَانِبِهِ وَصُوَرِهِ.

إِنَّ الأَمَانَةَ مَصْدَرُ الفَلَاحِ، وَيَنْبُوعُ[2] الخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، صَاحِبُهَا مَحْمُودٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْـدَ النَّـاسِ؛ مَـا ارْتَفَعَـتْ أُمَّـةٌ إِلَّا بِهَـا، وَلَا ازْدَهَـرَتْ إِلَّا بِسَـبَبِهَا، وَلاَ رَاجَـتْ بِضَـاعَة بِغَيْرِهَا، وَلَا صَلُحَتْ مُعَامَلَةٌ بِسِوَاهَا

وَإِنَّ مَا تُعَانِيهِ كَثِيرٌ مِنَ المُجْتَمَعَاتِ؛ مِنَ الخِيَانَةِ والفَسَادِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِ – الفَسَادِ الإِدَارِيِّ، والوَظِيفِيُّ، وَالـمَالِي، وَغَيْرِ ذَلِكَ. إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ تَقْصِيرِ أَبْنَائِهَا فِي الأَمَانَةِ، وَمَا بُلِيَتْ أُمَّةُ الإِسْلَامِ بِأَشَدَّ مِنْ وُجُودِ الخَوَنَةِ الظَّلَمَةِ الجَائِرِيْنَ الجَهَلَةِ المُتَسَلِّطِيْنَ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ بِحِرْمَانِهِمْ وَبَخْسِهِمْ حُقُوقَهُمْ، وَنَيْلِهِمْ مِنْ كَرَامَتِهِمْ وَاخْتِصَاصَاتِهِمُ الـمَادِّيَةِ أَوِ المَعْنَوِيَّةِ. فَجَدِير بِنَا – أُمَّةَ الإِسْلَامِ أَنْ نَرْعَى الْأَمَانَةَ، وَأَنْ نَقُومَ بِهَا حَقَّ قِيَامِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ كَفِيْلٌ – بِإِذْنِ اللَّهِ – أَنْ يُحَقِّقَ السَّعَادَةَ لِلْمُجْتَمَعِ دُنْيَا وَأُخْرَىٰ، وَاللَّهُ الـمَسْئُولُ أَنْ

(١) أشفق منه، أي: خاف منه وَحَذِرَ. «اللسان» (شفق).

(٢) الينبوع: عين الماء، وجمعه ينابيع. «اللسان» (نبع).

يُوفِّقَ الجَمِيْعَ لِلْقِيَامِ بِمَا أُنِيْطَ بِهِمْ مِنْ أَمَانَاتٍ، وَمَا اضْطَلَعُوا بِهِ مِنْ مَسْئُولِيَّاتٍ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيْمٌ.

أَقُولُ قَوْلِيْ هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الـمُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِيْنَ غَفُورًا"(١).

في هذه الخطبة قد اعتمد السديس حفظه الله في إقناع المجتمع السعودي بالخلق الكريم والسلوك القويم على المحسنات البديعية بكل ألوانها وبأقسامها القديمة منها والحديثة، فقد استخدم: فنون البديع التقابلي، وفنون البديع التداولية، وفنون البديع التكرارية.

(١) عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، "كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة". (مكة المكرمة: مطبوعات مكتبة إمام الدعوة العلمية)، ج ١: ٣٤٣.

المبحث الثاني: فنون البديع التقابلي بين الحجاج والإقناع في خطبة الأمانة:

"البديع التقابلي هو الذي يهتم بتقديم العلاقات المتشابهة بصورة تقابلية بين معاني الكلمات، مما يولد الأثر الإيحائي الذي ينتج عنه اللذة عند المتلقي لنصوص الكلام الموظف فيه البديع التقابلي، ومن هذه الفنون المحسنات المعنوية ذات الصبغة التقابلية مثل الطباق(١)والمقابلة ومراعاة النظير.

الطباق:

الطباق هو: "الجمع بين معنيين متضادين"(٢).

أو هو: "التقابل بين أمرين وجوديين، ويكون كل من الأمرين طاردا بماهيته للآخر، ناظرا إليه، آبيًا الاجتماع معه وجودا، ومن أحكامه ألا يقع بين أكثر من طرفين، فللشيء ضدٍ واحد"(٣).

والطباق من الفنون البديعية القادرة على إبراز الأفكار والعواطف بضدها وتجسيد التناقض بينهما، ويساهم في توضيح الصورة للمتلقي، ويقوي الصلة بين الألفاظ والمعاني، ويميز الألفاظ المتشابكة، مما يجعل المتلقي يميل ويصغي إلى الكلام المتطابق.

وتكمن وظيفة الطباق الإقناعية في توضيح المعنى حيث يدعم المعنى بقوة الوضوح، ويجعل الدلالة واضحة مقنعة، فالطباق وسيلة حجاجية، يوضح وقوع المعنى في ذهن السامع موقعًا يجعله يقتنع، ويتحقق هذا حين يجمع الطباق بين معنيين

(١) يُنْظَر صلاح فضل، "نظرية البنائية في النقد الأدبي". (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨م)، ص ٣٦.

(٢) حسين جمعة، "التقابل الجمالي في النص القرآني". (ط١، دمشق: منشورات دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م)، ص ١٢.

(٣) أماني سلمان داود، "الأمثال العربية القديمة: دراسة أسلوبية سردية حضارية". (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٠م)، ص٩٨.

متقابلين، فالطباق له أهميته الكبرى في عملية التأثير والإقناع، لما له من قوة في جذب انتباه المتلقي، واستمالته إلى الخطاب، فالمحسن البديعي له قوة تأثيرية لما يقال، وقيمة توضيحية للخطاب، مما جعل منه ظاهرة بلاغية حجاجية دون تكلف وصنعة، مما زاد في قوة التعبير ورونقه لدى المتلقي.

وللطباق حضور في خطب السديس للمجتمع الإسلامي عمومًا وللمجتمع السعودي خصوصًا حضورا يقوي فيه حججه الداعية للخير الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر، وكان هذا الحضور يستدعيه الموقف بلا تكلف أو تعمد.

وقد قصد الشيخ من استدعاء هذا الطباق استجلاب أسماع المجتمع لقبول فكرته، وتحقيق مراده بوساطة الثنائيات المتضادة في النص، مما يسهم في إثارة الذهن للتفكير في كلامه.

ففي خطبة الأمانة قد اتخذ السديس من المحسن البديعي الطباق آلية حجاجية ووسيلة إقناعية ليقنع المجتمع بخلق الأمانة، وقد لوحظ تكرار استعماله لفن الطباق في هذه الخطبة، وذلك لإدراك السديس لأثره الاستمالي الآكد في النفوس، ومن ذلك:

طباقه بين "أمرَ" و" نَهَى" في قوله: "الحمْد لله الذي أمر بأداء الأمانات... ونهى سبْحانه عن المكْر والغدْر وسائر الخيانات".

وكذا الطباق بين "الأمانة" و"الخيانات"، وقد تكرر الطباق بين هاتين الكلمتين في أكثر من موضع، وهذا الطباق يوقف المتلقي على الفرق بين الأمر والنهي، وكذا الفرق بين المأمور به: (الأمانة)، والمنهي عنه: (الخيانة)، فالفرق بينهما شديد كالفرق بين الأرض والسماء، والفرق بين الحق والباطل، فالهوة بينهما بعيدة والبون بينهما شاسع، والطباق بما أوضحه من هوَّة وفرق بين المتضادين قد أنتج مقدمة حجاجية فهمت من المنطوق القولي للعبارات المستشهد بها وهي أنه –تعالى – هو الآمر بتطبيق مبدأ الأمانة في تعاملاتنا، وهو الناهي عن الخيانة واستبعادها من تعاملاتنا،

والنتيجة الحجاجية المفهومة من المنطوق غير القولي هي: على كل مسلم وجوب التخلق بخلق الأمانة والابتعاد عن سلوك الخيانة؛ إذ الآمر بالأولى، والناهي عن الثانية هو الله، وهذه القضية الحجاجية قد أدت إلى حصول الاستجابة من المتلقي(المجتمع) بالامتثال للأمر واجتناب المنهي عنه؛ فالمؤمن إذا علم بأن الآمر والناهي هو الله –عز وجل – تقبلهما وعمل بهما واقتنع بالفكرة دون معارضة، وكفى بهذا النهي وذلك الأمر إقناعًا للمخاطب، وبهذا يكون قد حقق الطباق الحجاجي غايته الإقناعية.

ويطالعنا السديس بطباق حجاجي آخر بين قوله: "الغدر" و"الوفاء" وذلك من خلال قوله: "نهى سبْحانه عن المكْر والغدْر"، وقوله: "يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ...أَهْلَ البِرِّ...والوَفَاءِ"، فالطباق قد أطلع المتلقي على خبث خلق الغدر وسوئه، وطيب خلق الوفاء وحسنه، فالطباق قد أعان الشيخ على استمالة المخاطب وإقناعه بالبعد عن خلق الغدر، والتمسك بخلق الوفاء والتزامه؛ إذ أنتج الطباق قضية حجاجية وكأنه قيل: بما أنه — تعالى – نهى عن الغدر، ويحِب أهل الوفاء، فلا يمكن أن يكون المسلم غادر غير وفيّ، والقضية الحجاجية التي أنتجها الطباق في الخطبة كانت سبيلًا إلى إقناع المتلقي بمراد الشيخ.

ويحقق الطباق غايته الإقناعية كذلك بين "الخير" و"الشر"، وبين "الهدي" و"الضلالة"، في قوله: "فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ – وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيْثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ– صلى الله عليه وسلم–، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ"، فالطباق الأول أوضح أن أثر الخير ليس كأثر الشر، فالخير يأتي من ورائه النفع والراحة، والشر يأتي من ورائه الضرر والمعاناة، والطباق الثاني قد أوضح الفرق بين حالتين موجودتين في المجتمع: حال المهتدي الذي يتقبل أوامر ربه ويجتنب نواهيه بكل أريحية وتسليم، وحال الضال المتخبط الذي اتبع الضلال فلم يمتثل لأمر الله أو يجتنب نواهيه، وقد جعل هذا الطباق المتلقي يرى الفرق بينهما بوضوح، ولا شك عند وضوح هذا الأمر وظهوره في اقتناع المتلقي.

ويتضح الأثر الإقناعي للطباق بين "السماوات" و"الأرض" في قول الشيخ: "أشْفقت السموات والأرْض" وقد جاء الطباق في هذا القول ليبرز الفرق الكبير بين خُلق الأمانة وسلوك الخيانة، فقد بلغ الفرق بينهما الفرق بين الأرض السماء، والفرق بين الأبيض والأسود، ولا يخفى على أحد من عقلاء المجتمع ما بينهما من هوة بعيدة، وكأن الشيخ حفظه الله قد استدل بالفرق بين السماء والأرض ليدل على ما بين الأمانة والخيانة من تباعد وفرق شديدين، فالشيخ قد وظف خاصية الطباق الاستدلالية في تبليغ المجتمع بفكرته واستمالتهم إليها، مما جعل طريق الإقناع بضرورة التخلق بخلق الأمانة سهلًا يسيرًا.

وتظهر الغاية الحجاجية للطباق بين المعرفة والجهل في قول الشيخ: "تجب معْرفته لدى كل مسْلمٍ، لا سيما وقدْ جهله كثيرٌ" وهذا الطباق قد أبرز المعنى وأوضحه، وهو البون الشاسع بين المعرفة والجهل، فالمعرفة تنير حياة الانسان وتسعده، والجهل يجعل الحياة مظلمة بائسة، وإذا كان الأمر كذلك فعلى كل مسلم السعي إلى شتى أنواع المعرفة مهما كلفه الأمر، وهذه القضية الحجاجية التي أوجدها الطباق ساعدت الشيخ على التأثير في المتلقي واستمالته، ثم إقناعه.

ثم يأتي الطباق بين "صلحت" و"فساد" في قوله "وَلَا صَلُحَتْ مُعَامَلَةٌ بِسِوَاهَا، وَإِنَّ مَا تُعَانِيهِ كَثِيرٌ مِنَ المُجْتَمَعَاتِ؛ مِنَ الخِيَانَةِ والفَسَادِ... إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبٍ تَقْصِيرِ أَبْنَائِهَا فِي الأَمَانَةِ"، وقد جاء الشيخ بهذا الطباق ليقنع المتلقي بالقضية فمقدمتها الحجاجية المفهومة من المنطوق القولي للعبارة هي أن صلاح الأمة في تمسكها بالأمانة، وفسادها في سلوك الخيانة، ونتيجتها الحجاجية المفهومة من المنطوق الحجاجي غير القولي هي وجوب الحرص على الأمانة، واجتناب سلوك الخيانة، وقد آثر الشيخ فن الطباق للتعبير في هذا المقام لما للطباق من وظيفة حجاجية إقناعية تؤازره في استمالة المتلقي والتأثير فيه؛ حيث يجمع الطباق بين المتباعدين وبين

النقيضين مما له الأثر الإقناعي في نفوس المتلقين.

ويتضح الطباق كذلك بين قوله: "الدنْيا" وقوله: و"الآخرة" في قوله: "ومنْ تساهل فيْها[1]، فقدْ عرض نفْسه للْخيانة وما تجْلبه منْ سخط وعقوبةٍ في الدنْيا والآخرة"، وقد أبرز الطباق المفارقة البعيدة بين الدنيا والآخرة، فالبون بينهما شاسع والفرق بينهما كبير، حتى الزمن بينهما طويل؛ فقد أنتج الطباق مقدمة حجاجية استشفت من المنطوق القولي الحجاجي وهي: أن التساهل في الأمانة يوقع في الخيانة التي تجلب سخط الله وعقابه في الدنيا والآخرة، ونتيجة حجاجية هي: الاهتمام بالأمانة وتطبيقها يجلب رضا الله ونعيمه، وقد فهمت النتيجة من المنطوق الحجاجي غير القولي للنص، فالجمع بين المتضادين قد أوقف الجمهور على حقيقة كل من الدنيا والآخرة، فالدنيا حقيرة فانية، والآخرة عظيمة باقية، فبها الجزاء الذي ينتظر الجميع، ففيها الجنة والنعيم لمن اتخذ سبيله الأمانة، وفيها النار والعذاب لمن اتبع الخيانة طريقًا، والطباق هو عامل الإقناع في هذه العبارة ؛لأن الطباق "يؤدي غرضا معنويا حيث يستوعب الحكم كاملا، كما يأتي لعقد مقابلة حسية، ونفسية، أو زمانية، ومنه ما يكشف أجزاء القضية ويبرز أطرافها، مما يؤكد أن الطباق من الأمور الفطرية المركوزة في الطباع، إذ الضد أقرب حصولا بالبال عند ذكر ضده"[2].

المقابلة:

المقابلة هي: أن يجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وبين ضديهما[3].

---

(١) المراد: الأمانة.

(٢) أحمد أحمد فشل، "علم البديع رؤية جديدة ". (القاهرة: دار المعارف للطباعة والنشر، ١٩٩٦م)، ص ٥٧.

(٣) يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، "مفتاح العلوم". ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، (ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ)، ج ١: ٤٢٤.

تعد المقابلة من فنون البديع التي تسهم في إيضاح المعنى وتقريبه للمتلقي، وبالتالي تبين له المقصد وتقنعه.

وللمقابلة قوتها الحجاجية، وما يرافق هذا الحجاج من تأثير وجمال وبديع، يجعل المتلقي على درجة كبيرة من الاقتناع؛ لأن المقابلة تقيم له ما يقابل ذلك الكلام، وهذا مستوى حجاجي تقيمه البلاغة في بديعها.

و"المقابلة وجه من وجوه البلاغة البرهانية البديعية التي تدعم طاقة القول الحجاجية، وتزيد في قدرته الإقناعية، ومن هنا تعد المقابلة من أهم الوسائل البلاغية للحجاج للاستمالة والتأثير، فهي تستميل وتؤثر بجمال استعمالها وقوة علاقتها التقابلية على المتلقي"(١).

وتبرز قيمتها الإقناعية في اقتضاء المعنى لها حيث يورد المتلقي معنى ثم يؤتي بما ينافيه ليحبب المتلقي فيه أو ينفره منه وذلك يسهم في إيضاح المعاني وتمييزها.

وتستمد المقابلة قيمتها الفنية ومزيتها البلاغية من مدى الدور الذي تؤديه في إطار الغرض الكلي للنص الكامل، أو الصورة الكلية"(٢) وهو دور واضح للمقابلة؛ إذ تثير الانتباه إلى الفكرة، وترسخها في النفس وتبرز المعنى، وتوضحه.

وللمقابلة بغايتها الإقناعية حضور واضح في خطبة الأمانة للشيخ السديس في قوله: "الحمْد لله الذي أمر بأداء الأمانات، ورتب على ذلك جزيل العطايا والهبات، ونهى سبْحانه عن المكْر والغدْر وسائر الخيانات، وأوْعد على ذلك أليْم العذاب وأشد

(١) عباس حشاني، "خطاب الحجاج والتداولية – دراسة في نتاج ابن باديس الأديب". (ط١، إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٤)، ص ٣٠٠.

(٢) محمد إبراهيم شادي، "من وجوه تحسين الأساليب في ضوء بديع القرآن". (ط١، مصر: دار السعادة، ١٤٠٨ هـ- ١٩٧٨م)، ج١: ٣٣.

العقوبات"، فقد قابل الشيخ أمره –تعالى– بأداء الأمانة وما يترتب على ذلك من جزيل العطايا والهبات بنهيه –عز وجل– عن المكر والغدر وسائر الخيانات وما يترتب على ذلك من العذاب والعقاب، وهذه المقابلة وسيلة تأثيرية إقناعية قد استعملها الشيخ لاستمالة المخاطب، والتأثير فيه، وإقناعه بأداء الأمانة، والنأي عن كل أشكال الخيانة؛ فقد كانت المقابلة سببًا في إبراز المعنى والوفاء به؛ حيث ذكر السديس الجزاء في الجملة الأولى والعذاب في الجملة الثانية وقد أنتجت هذه المقابلة قضية حجاجية فهمت مقدمتها من المنطوق الحجاجي للعبارة، وهي أنه من يؤدي أمانته يستحق أجزل العطايا وأجمل الهبات، ومن يخالف ذلك ويخون الأمانة ويمكر ويغدر سينال أشد العذاب، وأما نتيجة القضية الحجاجية فهي ضمنية فهمت من مضمون النص، وهي: أنه على كل من يريد الجزاء العظيم من ربه، ويبتعد عن عذابه وعقابه فليؤدِّ أمانته، وقد تجلت حجاجية المقابلة في إظهار هذه المفارقة، فشتان بين الأمرين، وهذا ما أراد السديس إيصاله للمخاطب، وبهذا كانت المقابلة طريقًا من طرق الإقناع، وسبيلًا لتسليم المتلقي وقبوله للفكرة دون أي معارضة.

وتحقق المقابلة بُعْدها الإقناعي في قول الشيخ: "رَغَّبَ أُمَّتَهُ فِي الأَمَانَةِ، وَحَذَّرَهَا مِنَ الخِيَانَةِ"، فقد قابل الترغيب في الأمانة بالتحذير من الخيانة، وحجاجية المقابلة هنا تتمثل في إطلاع المتلقي على المفارقة الشديدة بين الأمرين، والهوة البعيدة بينهما، فالترغيب يكون في فعل الخيرات، وأهمها التخلق بخلق الأمانة، والتحذير يكون من الشرور وأكثرها شرًا سلوك الخيانة، وقد أنتجت هذه المقابلة قضية حجاجية، تتمثل مقدمتها في مفهوم المنطوق القولي الحجاجي للعبارة وهي: أن الترغيب والتحذير من الله –عز وجل– وقد فهمت النتيجة من المنطوق غير القولي لتلك العبارة وهي: وجوب العمل بما يرغِّب فيه الله –عز وجل– والابتعاد عن ما يحذِّر منه –تعالى–؛ إذ المرغَّب فيه يجلب الخير والسعادة، والمحذَّر منه يجلب الشر والتعاسة، ولا سيما أنهما من عنده –تعالى–، وهذه القضية قد أثرت على فكر المجتمع، فقد استمالت قلوب المتلقين،

وأثرت على سلوكهم.

ويتجلى الدور الإقناعي للمقابلة في قول الشيخ: "أميْنا يتحلى بلباس العفة والأمانة، ويتخلى عن الغدْر والخيانة"؛ حيث قابل التحلي ولباس العفّة والأمانة بالتخلي عن الغدر والخيانة، وقد استخدم الشيخ حفظه الله المقابلة لإبراز المعنى، والوفاء به، ودعم القضية، وهي التخلق بخلق الأمانة والابتعاد عن الغدر والخيانة، فالمقابلة قد قوت المضمون، واستمالت قلب المتلقي، وأقنعته؛ إذ أنتجت هذه المقابلة مقدمة فهمت من المنطوق القولي الحجاجي للعبارة، وهي: أنه من يتحلّ بلباس العفة والأمانة ويتخلّ عن الغدر والخيانة فهو الأمين الذي رضي الله عنه، والنتيجة الحجاجية فهمت من المنطوق الحجاجي غير القولي وهي: أن المسلم التقي سيُقبل على الأمانة، وينفر من سلوك الغدر والخيانة، وهكذا كانت المقابلة من طرق الإقناع؛ إذ أطلعت المتلقي على كل من حالي الأمين، والغادر الخائن، فجعلت المتلقي تستهويه صفة الأمانة، ويرفض صفتي الغدر والخيانة، فالتقابل قد أكسب الصورة مزيداً من الوضوح والبيان.

ويبرز الدور التأثيري الإقناعي للمقابلة كذلك في قوله: "فمنْ قام بها، فقدْ أدى الأمانة، واسْتحق ثواب الله، ومنْ تساهل فيْها، فقدْ عرَّض نفْسه للْخيانة وما تجْلبه منْ سخط وعقوبةٍ في الدنْيا والآخرة"، فقد قابل القيام بالتكاليف الشرعية جميعها وأداء الأمانة واستحقاق الثواب من الله –عز وجل– بالتساهل في إقامة هذه التكاليف، والتعرض للخيانة واستحقاق سخط الله وغضبه، وهذه المقابلة قد رغّبت المتلقي في أداء الأمانة وحذرته من عدم أدائها؛ إذ أنتجت قضية حجاجية تتمثل مقدمتها في المنطوق القولي الحجاجي للعبارة السابقة وهو أنه من يقم بالتكاليف الشرعية جميعها فقد أدّى ما عليه من أمانة واستحق الأجر العظيم من ربه، ومن لم يقم بهذه التكاليف فقد خان الأمانة وأصابه سخط الله والعياذ بالله، وقد فُهمت النتيجة من المنطوق غير

القولي الحجاجي للعبارة وهي: ضرورة وحتمية القيام بالتكاليف الشرعية على أكمل وجه؛ للوصول إلى رضاه –عز وجل–، والبعد عن التعرض للخيانة وسخط الله وغضبه، وقد كانت المقابلة في هذا المقام طريقًا ناجعًا من طرق الإقناع؛ ذلك لأن جمع الشيء وما يخالفه يبرزه ويبين خصائصه، فيقتنع المخاطب به ويتقبّله بأريحية، بالإضافة إلى أن المقابلة تعتمد على ركيزة فطرية في الإنسان، وهي التي تحرك الطاقة الفكرية لبني البشر، لأن العقل البشري دائما ما يستحضر الضد.

ويتضح الأثر الحجاجي للمقابلة أيضا بين قوله: "تحْكيم شريعة الله، والحكْم بكتاب الله وسنة رسوله –صلى الله عليه وسلم–: أمانةٌ عظيْمةٌ، وتحْكيْم غيْر شرْع الله منْ قوانيْن الْجاهلية: خيانةٌ فادحةٌ"، فقد قابل الشيخ تحكيم شريعة الله المأخوذة من كتاب الله وسنته وكونها أمانة عظيمة بتحكيم قوانين الجاهلية وكونها خيانة فادحة، وهذه المقابلة تزيد المخاطب إقناعًا، وأوصلته إلى النتيجة المرجوة وهي ضرورة القيام بالتكاليف الشرعية المتمثلة في كتابه الكريم وسنة رسوله الشريفة؛ إذ بتحكيمه شرع الله سيكون أمينًا تتأصل فيه صفة الأمانة قولًا وفعلًا، وأن الخائن هو الذي يحكم بغيْر شرْع الله منْ قوانيْن الْجاهلية، وقد كانت المقابلة هنا وسيلة تأثيرية استمالية؛ لأنها قدمت للمجتمع صورتين: صورة لشخص ملتزم بأحكام ربه، وبكل مقوماتها وهدايتها، منفذ أوامره –تعالى– ونواهيه الواردة في كتابه وسنة نبيه، وصورة لآخر خائن يمثل هذه الحالة بكل ما فيها من خطوط وألوان وانحرافات وحركات بحيث يشعر المتلقي بخروجه من دائرة الأُمناء، وسقوطه في مستنقع الخيانة، فالمقابلة جعلت النص بمفهومه الحجاجي منطوقًا أو غير منطوق قضية حجاجية عملت مقدمتها ونتيجتها على التأثير في المخاطب، واستمالته، وإقناعه بالقضية، بل جعلته يقبل عليها ويتخذها منهجًا لحياته.

ومما سبق يتضح أن للمقابلة في هذه الخطبة دورًا استماليًّا كبيرًا، وأثرًا إقناعيًّا خطيرًا لا يستهان به، ولم لا! وقد تحقق هذا الأثر وذلك الدور عن طريق المقابلة ذات الفكرة

الواضحة، والمضمون العميق، والعبارات السلسلة، والأسلوب الواضح، والتنامى المتصاعد.

مراعاة النظير أو التناسب:

"ويسمى التناسب والائتلاف، والتوفيق أيضاً، وهو أن يُجْمَعَ في الكلام بين أمرٍ وما يناسبه، لا بالتضاد"(١).

ومراعاة النظير من الفنون البديعية التي يستخدمها المنشئ؛ ليستميل المخاطب بخطابه، ويقنعه بموضوع الخطاب الذي يطرحه؛ وذلك لما لهذا الفن من التأثير الحجاجي الفائق، والقدرة الكبيرة على الاستمالة والإقناع بحيث يجعل المتلقي يقبل الفكرة بل ويسلم بها وكأنها عقيدة؛ وذلك لأن المنشئ حينما يستعمل هذا المحسن يجمع الكلمات المتناظرة المتناسبة ويهاجم بها وجدان المتلقي وإحساسه ليؤكد له المعنى، ويثبت له أنه هو الحق، وغيره الباطل، فيقتنع به، ولا يستطيع المخاطب في مواجهة هذا الهجوم إلا أن يقبل ويسلم على الفور.

وفن مراعاة النظير من الفنون التي وُجِدت بكثرة في خطبة الشيخ، وكان هذا المحسن كغيره من المحسنات البديعية قد جاء عفو الخاطر ليس متكلفًا، وقد أتى خادمًا للمعنى مبرزًا له، ومن ذلك في هذه الخطبة ما يأتي:

مراعاة النظير في قوله: "ورتب على ذلك جزيل العطايا والهبات"، فقد أتى الشيخ بمعنين متوافقين هما العطايا والهبات؛ لاستمالة المخاطب وتذكيره بفضل الله على العباد؛ إذ إنه –تعالى– صاحب العطايا والهبات على الخلائق جميعهم، وقد أكد منة الله وفضله على العباد مجيئه بالمضاف "جزيل"، فالعطايا والهبات ليست عادية وإنما هي جزيلة كثيرة، فقد جعل الشيخ المحسن البديعي مراعاة النظير وسيلة لتجهيز

(١) الخطيب القزويني، "الإيضاح في علوم البلاغة". تحقيق عبد المنعم خفاجى، (ط٦، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٥م – ١٤٠٥هـ) ص ٤٨٨.

المتلقي، وجعله مستعدًا لما سيأتي في الخطبة من حديث عن الأمانة، والغدر والخيانة، وقد عاون هذا الفن على إنتاج قضية حجاجية لها مقدمة ونتيجة، وكأن الشيخ يقول: بما أن الله هو صاحب جزيل العطايا والهبات على خلقه فيجب عليهم اتباع أوامره واجتناب نواهيه.

ويظهر الأثر الإقناعي لفن مراعاة النظير كذلك في قوله: "ونهى سبْحانه عن المكْر والغدْر وسائر الخيانات"، (حيث أورد المكْر والغدْر في هذا المقام، والذي يجمع بينهما أن كلًا منهما صفة وخلق مذموم يؤذيان من يتصف بهما قبل غيرهما، ومراعاة النظير قد أنتج مقدمة حجاجية مفهومة من منطوق الكلام وهي: أن المكر مثل الغدر فهما من الخيانة، والنتيجة الحجاجية فهمت من مضمون الكلام غير المنطوق وهي أن المؤمن الحق لا يمكر بأحد ولا يغدر به، لأن المكر والغدر من سائر الخيانات، والمتلقي الذي يسمع هذا الكلام لا بد أن يتأثر ويقتنع بأنه ينأى بنفسه عن هذين الخلقين، ولا يجد نفسه إلا قابلًا للفكرة المطروحة مسلما بها.

ويلعب فن مراعاة النظير الدور الإقناعي مرة أخرى في قوله: "وأوْعد على ذلك أليْم العذاب وأشد العقوبات"، فقد جاء السديس بالعذاب والعقوبات متجاورين؛ ليحقق غاية تأثيرية إقناعية، وهي إلقاء الروع والفزع في قلب المتلقي من مخالفة أوامر الله وعدم اجتناب نواهيه، فحينما يتحدث عن الأمانة وأهميتها يجد من المخاطب الاستجابة والتطبيق، فقد قدم الشيخ قضية حجاجية غايتها الإقناع، وكأنه يقول: بما أن الله يتوعد الخائن بالعذاب والعقاب فالأمين يوعد بالعطايا والهبات، ومن هنا يقتنع المتلقي بضرورة التخلق بخلق الأمانة والابتعاد عن سلوك الخيانة.

ويطالعنا الشيخ أيضا بالأثر الاستمالي لمراعاة النظير في قوله: "يحب منْ عباده الصادقيْن الأمناء؛ أهْل البر والطهْر والخيْر"، فقد أتى الإمام في هذه العبارة بأمور متناسبة وهي: الصادقين –الأمناء–البر–الخيْر، والجمع بين هذه الأمور المتناسبة يوضح أن الأمانة سبب من أسباب حب الله لعبيده، فبما أن الله يحب الأمناء، سيسارع

المسلم للتخلق بهذا الخلق الكريم، ويبتعد عن كل ما يخالفه، تلك هي القضية الحجاجية التي أنتجها مراعاة النظير، وبهذا كان مراعاة النظير فنًا تأثيريًا غايته الاستمالة والإقناع.

ويتضح الدور الاستمالي التأثيري لمراعاة النظير كذلك في قوله: "أشْفقت السموات والأرْض والجبال منْ حمْل الأمانة، وخافتْ منْ عواقبٍ حمْلها؛ لما يترتب على التقْصير في ذلك من العذاب والنكال"، فقد جمع الشيخ أولًا بين السماوات والأرض والجبال، لإقناع المتلقي بأن هذه الأشياء مع أنها من أعظم مخلوقات الكون وأكبرها، إلا أنها قد أشفقت وخافت من حمل الأمانة.

وجمع ثانيًا بين الإشفاق والخوف، فكل منهما شعور يسيطر على صاحبه ويجعله ضعيفًا مرتبكًا، قلقًا متوترًا، غير قادر على فعل شيء، وكذا جمع بين كلمتي العذاب والنكال، فكل من العذاب والنكال عقاب لا يقوى عليه كائن من كان، وقد جمع الشيخ بين هذه المعاني ليقنع المخاطب بأن أمر حمل الأمانة أمر ليس بالسهل اليسير وأنه أمر صعب شاق وخطير، ولا يقدر عليه إلا المؤمن التقي الذي يجعل حياته كلها لله، وقد، أنتج هذا الفن مقدمة حجاجية فهمت من المنطوق القولي للعبارة غايتها الإقناع وهي: أن السماوات والأرض أشفقن من حمل الأمانة وخفن من عقوبة التخلي عنها، لما يترتب عليها من العذاب الشديد، والنكال الأليم، وأما النتيجة الحجاجية المترتبة على هذا، فهي أنه على كل مؤمن أن يأخذ حذره حينما يقرر أن يتحمل أمانة؛ لأن عقاب خيانتها شديد، وبهذا يقتنع المتلقي بخطورة الأمانة، وعدم الاستهانة بها، وأخذ الحيطة والحذر عند قراره بتحملها.

وتتحقق الغاية التأثيرية لمراعاة النظير أيضًا في قول الشيخ السديس: "التي ينوء

بحمْلها[1] الضعاف المهازيْل"، وهذا المحسن جعل الشيخ يجمع بين معنيين بينهما مناسبة قوية وهي أن كلًا منهما دلالة على عدم قدرة من يتصف بهما على فعل شيء أو أخذ قرار، فضعاف الإيمان ومهازيْله لا يستطيعون حمل الأمانة، ولا يهتمون بهذه القضية وما يتصل بها أصلًا، وقد استخدم الإمام هذا المحسن ليستميل المخاطب ويقنعه بتحمل الأمانة وإعطائها قدرها التي تستحقه، فالمقدمة الحجاجية التي فهمت من المنطوق القولي الحجاجي هي أن الذين لا يتحملون الأمانة هم ضعاف الإيمان المهازيْل فيه، وبالتأكيد تكون النتيجة أن الذي يتحمل الأمانة ويرعاها حق رعايتها حتمًا سيكون قويا قادرًا على تحمل الصعاب، مما جعل المتلقي يقتنع بتحمل الأمانة، فبها سيكون مؤمنًا حقيقيًا قويًا، والقضية التي أنشأها مراعاة النظير هي الأساس في إقناع المخاطب بما أراده الشيخ.

ويأتي قول آخر للشيخ يبرز فيه الدور الإقناعي لمراعاة النظير وهو: "إن أعْظم أمانةٍ تحملها المسْلم أمانة توْحيْد الله –عز وجل– وإفْراده بالعبادة"، فهذا المحسن جعل العبارة تجمع بين معنيين هما أساس العبادة، وهما التوحيد والإفراد، فالعلاقة بين التوحيد والإفراد واضحة وهي علاقة الترادف، فكان من الممكن أن يأتي الإمام بمعنى واحد التوحيد أو الإفراد مثلا، لكن جمعه بين المعنيين أكد المعنى وعمل على إقناع المخاطب بأن عدم الشرك بالله –عز وجل– أعظم الأمانات، ويجب أن يتحملها كل مسلم، فالفن البديعي قد أسفر عن قضية حجاجية مقدمتها فهمت من المنطوق القولي الحجاجي للنص، وهي أن أعظم الأمانات التي يمكن أن يتحملها المسلم هي توحيد الله وإفراده بالعبادة، والنتيجة الحجاجية هي أن المسلم الذي يشرك بربه سيكون خائنًا لأعظم أمانة تحملها، وبهذه النتيجة وتلك المقدمة كان مراعاة النظير وسيلة إقناعية تأثيرية ناجحة للمتلقي.

(١) المراد: الأمانة.

المبحث الثالث: فنون البديع التداولي بين الحجاج والإقناع في خطبة الأمانة:

البديع التداولي "يقصد به اشتراك المتلقي في الخطاب، وفاعليته في إنتاج الدلالة في النصوص من خلال تحقيق التعاون مع المتكلم صاحب النص، وعليه يتحول المتلقي من طرف سلبي في عملية التوصل إلى طرف إيجابي أصيل في العملية كلها، وتصبح كل أفعاله إنجازية ذات بعد دلالي في علاقات النص ودلالاته المتشابكة، ومن هذه الفنون في هذا النوع: المحسنات المعنوية المعتمدة على الإيحاء، والتقاط المعنى غير المباشر مثل فنون: (التورية، والتقسيم، والجمع والتفريق، والاقتباس، والتضمين، وتجاهل العارف"[١].

الجمع:

الجمع: "هو أن يجمع بين شيئين أو أشياء في حكم واحد"[٢].

والجمع: فن بديعي تداولي من المحسنات المعنوية التي لها الأثر الأكبر في استمالة المخاطب وإقناعه بالقضية المطروحة في الخطاب، كذلك له الدور الأقوى في تثبيت الفكرة في ذهن المتلقي، وليس هذا فحسب، بل تسليمه بها.

وتكمن حجاجية الجمع في اقتضاء المعنى له، وفي تقديمه النتيجة للمتلقي في أوجز لفظ، وأعمق معنى؛ لذا كان الجمع من أهم الوسائل الحجاجية في البلاغة العربية للاستمالة والتأثير.

ومن عبارات الخطبة التي جاء فيها الجمع ليحقق دورًا تأثيريًا وغاية إقناعية قوله: "السلوك والْأَخْلاق، من الصدْق والوفاء، والبر والصلة، والحلْم والصفْح، والجود

(١) خليفة بوجادي، "**في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم**". (ط١ الجزائر، ٢٠٠٩م)، ص ٧٩.

٢() القزويني، "الإيضاح في علوم البلاغة"، ص ٥٠٥.

والصبْر، والحياء والإخاء: أمانةٌ"، فقد جمع الشيخ بين عشرة أصناف من الصنوف التي تدخل تحت مسمى الأمانة وذلك لإقناع المخاطب بالتحلي بهذه الصفات بأقصر طريق؛ لأن الشخص إذا علم أن من يتحلى بهذه الصفات سيكون أمينا، لا بد أن يسارع إلى التخلق بهذه الأخلاق، ويقبل عليها، ففن الجمع قد أسفر عن قضية حجاجية مقدمتها أخذت من المنطوق القولي الحجاجي للعبارة، وهي أن الصدْق والوفاء، والبر والصلة، والحلْم والصفْح، والجود والصبْر، والحياء والإخاء صفات محمودة، من قام بها فقد أدّى الأمانة، والنتيجة الحجاجية هي التي فهمت من المنطوق غير القولي للعبارة، وهي أنه من لم تكن فيه صفة من تلك الصفات سيكون خائنًا للأمانة، ولا شك أن المتلقي الذي يسمع هذا الكلام لا بد من أن يُستمال ويقتنع ويسلم بأنه لا بد من أن يؤدي الأمانة في عموم حياته.

ويقوم الجمع بدوره الإقناعي في موضع آخر من الخطبة في قول: "الكذب والغشّ، والقطيْعة والجهْل: خيانةٌ، وَكَذَا الكَبَائِرُ وَالمُحَرَّمَاتُ، وَسَائِرُ الذُّنُوبِ والمَعَاصِي مِنَ القَتْلِ وَالزِّنَى، والسِّحْرِ والشَّعْوَذَةِ، والسَّرِقَةِ والغَصْبِ والاخْتِلاس، والغِيْبَةِ والنَّمِيمَةِ، والبُهْتَانِ والحَسَدِ، والبَغْضَاءِ والحِقْدِ والشَّحْنَاءِ: كُلّهَا مِنْ ضُرُوب الخِيَانِةِ"، فالإمام –حفظه الله– قد ذكر صفات كثيرة ذميمة وجمعها في صفة أكثر ذمًا وهي الخيانة وقد جمعها في هذا الوصف ليُنفِّر المتلقي من تلك الصفات ويقنعه بالابتعاد عنها، وهذا الجمع يمثل حجة قوية على من يعتقد أو حتى يظن أنه لو اقترف ذنبًا من هذه الذنوب أو اتصف بصفة من تلك الصفات الخبيثة لم يكن خائنًا، وبهذه الحجة قد اقتنع المخاطب وسلم بضرورة النأي عن هذه الصفات الذميمة، والاتصاف بعكسها من الصفات الحميدة حتى يكون أمينًا، فالجمع جعل الكلام كأنه قضية حجاجية وكأن الشيخ قال: بما أن من كان فيه تلك الخصال السيئة والصفات الذميمة سيكون خائنًا، إذًا يجب ابتعاد المسلم الحق عنها نهائيًا.

وتحقق تقنية الجمع الحجاجي أثرها الإقناعي كذلك في قول السديس: "قنوات

التوْجيْه والفكْر، والثقافة ومناهج التعْليْم، وما قذفتْ به المدنية الحديثة منْ قنوات الاتصال، ووسائل الإعْلام: أمانةٌ" حيث جمع الشيخ أشياء كثيرة تحت مسمى الأمانة، وقد لفت الشيخ –حفظه الله– ذهن المتلقي باستخدامه لفن الجمع إلى التعامل مع الأشياء المذكورة بشكل صحيح يبتغى فيه وجه الله، وإلا سيكون مخالفًا لشرع الله، وكأن الشيخ بالجمع أنتج قضية حجاجية مقدمتها تتمثل في المنطوق القولي الحجاجي للعبارة، وهو أن كل ما يقدم في قنوات الاتصال، ووسائل الإعْلام من ثقافة وعلم، وفكر وغيره أمانة في يد من يوجه هذه القنوات، والنتيجة الحجاجية هي أنه على كل مسلم مراقبة الله في توجيه هذه القنوات، والحذر من توجيهها توجيهًا خاطئًا أو استعمالها استعمالًا سيئا وإلا سيضر بالمجتمع وأفراده، ويكون خائنًا لوطنه ودينه، مما جعل المخاطب يقتنع بضرورة المبادرة إلى التعامل مع هذه الأشياء على أنها أمانة.

وتبرز أهمية الجمع في استمالة المخاطب وإقناعه في قول السديس : "العقود والمناقصات، ومشاريع المؤسسات والشركات، والمرافق العامة: أمانةٌ عظيمةٌ"، فالجمع هنا قد نبه المتلقي إلى أهمية مراعاة الله ومراقبته في الأشياء التي ذكرها الشيخ، فوجود الجمع في النص قد أسفر عن مقدمة استشفت من المنطوق الحجاجي القولي للنص المذكور وهي: أن العقود بين المتعاقدين والمناقصات، ومشاريع المؤسسات والشركات، والمرافق العامة، أمانة في يد القائمين عليها، والنتيجة الضمنية قد استشعرت من المنطوق الحجاجي غير القولي للنص وهي وجوب إعطاء كل ذي حق حقه في المجالات المذكورة والابتعاد عن الغش والتدليس، والمراوغة، والظلم، مما حمل المتلقي على الموافقة والتسليم.

ويلعب الجمع دورًا مهمًا في إقناع الجمهور والتأثير عليه في قول السديس: "الوقْت والشباب، والقوة والصحة والفتوة: أماناتٌ"، وقد جمع السديس هذه الصنوف تحت وصف الأمانة ليبرز أهمية هذه الأشياء، ويوضح خطورة التهاون بها

والتعامل معها، وقد أقام الإمام بهذا الجمع حجة دامغة على من يدعي في زمن من الأزمنة أنه كان لا يعرف قيمة هذه النعم، وأن الحفاظ عليها من الأمانة التي تحمَّلها، وقطع على نفسه الحفاظ عليها؛ إذ أسفر هذا الفن البديعي التداولي عن قضية حجاجية أثرت في المتلقي واستمالته، وكأنه قال: فبما أن الحفاظ على الوقْت والشباب، والقوة والصحة والفتوة أمانة، فعدم الاهتمام بهذه الأشياء ورعايتها حق الرعاية خيانة، إذن على كل مسلم مراعاة تلك الأمانة، وقد عاون فن الجمع في هذا المقام على استمالة الجمهور إلى الخطاب وقبوله للفكرة المطروحة دون أي معارضة.

ويتجلى الدور التأثيري الإقناعي للفن البديعي الجمع في قول السديس: "حقوق المجالس، وعوْرات المسْلمين وأسْرارهمْ: كل ذلك أمانةٌ" وهذا الجمع سبيل قد سلكه الشيخ ليبيّن، ويؤكد على أهمية إعطاء المجلس حقه من قول الحق وعدم الغيبة والنميمة، وعدم الخوض في أعراض العباد، وستر عوراتهم، والمحافظة على أسرارهم؛ ذلك لأن الجمع أنتج مقدمة أخذت من المنطوق الحجاجي القولي للشاهد وهي: أن حقوق المجالس والحفاظ على عورات الناس وأسرارهم أمانة يجب المحافظة عليها من الذي تحملها، والنتيجة الحجاجية ضمنية فهمت من مضمون العبارة لا من منطوقها، وهي وجوب تنفيذ الأوامر الضمنية التي فهمت من النص وإلا سيكون الفاعل خائنًا، ومن هنا كان الجمع طريقا للاستمالة والإقناع.

ويستخدم السديس فن الجمع لاستمالة المرأة وإقناعها بوجهة نظره في قوله: "حجابها وعفافها وحشْمتها، وبعْدها عن الرجال: أمانةٌ "،فقد جمع الشيخ ما يتعلق بالمرأة في كلمة واحدة (الأمانة)؛ وذلك لبيان أهمية التزامها بالواجبات الشرعية؛ وذلك لأنها لو صلحت صلح المجتمع، فهي الأساس في المجتمع، وهي المربية للنشئ، والمعلم الأول له، وتأثيرها على المجتمع بأسره سواء بالسلب أو بالإيجاب آكد وخطير، لذا حاول الشيخ إقناعها بالالتزام بهذه الواجبات، بأن جمعها في حكم واحد، ووصفها جميعها بالأمانة، وكأن الشيخ قدم للمرأة قضية حجاجية مضمونها: بما أن حجاب

المرأة وعفافها وحشْمتها، وبعْدها عن الرجال: أمانةٌ، فتخليها عن هذه الأشياء خيانة عظمى، تفقد المرأة كل خلق قويم وسلوك سليم، وتقربها من الدنايا والرزائل.

التقسيم:

عرفه الخطيب القزويني في كتابه التلخيص بقوله: (والتقسيم ذكر متعدد، ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين)(١).

والتقسيم فن بديعي تداولي ومحسن معنوي، وبوصفه البديعي له فعل إقناعي مهم في المتلقي، ودور استمالي آكد، وتأثير حجاجي فاعل؛ فهو يساعد في تثبيت المعنى ويبعد عن المتلقي الملل والسَّأم، كما يسهم في تغيير الرؤية المتجسدة للمعنى في الذهن.

وتكمن حجاجية التقسيم في أنه يُشعر المتلقي بحركية تسود النص توحي بمدى تمكن المنشئ، وتكشف عن قدراته اللغوية والخطابية.

وقد كان السديس يعمد إلى التقسيم كأسلوب استمالي إقناعي حينما يريد أن ينبه الجمهور لأمر مهم، ويجعله مستعدًا تمام الاستعداد لتلقي الموضوع بصورة جلية واضحة.

ومن استخدامات السديس لفن التقسيم إيمانًا منه بدوره الإقناعي الحجاجي قوله: "أما العبادات: فهي جميْعًا أماناتٌ في عنق كل مسْلمٍ ومسْلمةٍ؛ فالوضوء أمانةٌ، والغسْل من الجنابة أمانةٌ، والصلاة أمانةٌ، وكذلك الزكاة والصيام والحج وغيْرها"، وقد جاء الخطيب في هذا النص بفن التقسيم مصحوبًا بفن الجمع؛ حيث جمع الفرائض في قوله: "أما العبادات: فهي جميْعًا أماناتٌ"، ثم قسمها إلى الوضوء، والغسل من الجنابة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج.

وقد كان السديس يقصد من وراء ذلك استمالة المتلقي (الجمهور) وإقناعه؛

(١) جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، "التلخيص في علوم البلاغة". ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي، (ط١ بيروت: دار الفكر العربي)، ص ٣٦٤.

حيث قدَّم قضية حجاجية مقدمتها فهمت من المنطوق القولي للجمل، وهي: أن العبادات جميعها أمانة في عنق المسلمين، أما النتيجة فقد فهمت من المضمون غير القولي للنص، وهي أن الخائن هو من يقصِّر في عبادة من تلك العبادات، وقد ساق الإمام الحجة على طريقة ذكر الكل أولًا، وهو أن العبادات جميعها أمانة، ثم أخذ يفصل ويجزئ هذه العبادات؛ ليدعم حجته ويؤكد صحتها.

ويلجأ السديس مرة أخرى للفن الحجاجي: الجمع مع التقسيم في قوله: "الجوارح؛ منْ سمْع وبصرٍ، وفؤادٍ ولسانٍ: أماناتٌ وودائع"، فقد ذكر السديس أولا كلمة جمع فيها ما قسمه بعد ذلك وهي: "الجوارح" ثم قسَّمها إلى السمْع والبصر، والفؤاد واللسان، وقد أسهم هذا الفن في إقناع الجمهور بأهمية المحافظة على السمع والبصر من المحرمات وحمايتهما من كل ما يلهي ويشغل عن ذكر الله، ووجوب شغل الفؤاد واللسان بكل ما يرضي الله –عز وجل–؛ إذ أسفر هذا التقسيم عن قضية حجاجية، وكأنه قال: بما أن السمع والبصر، والفؤاد واللسان أمانةٌ، يجب على صاحبها رعاية حق الله فيها، وإلا سيكون خائنًا مغضوبًا عليه من ربه.

وهكذا نرى أن فن التقسيم كان وسيلة تأثيرية استخدمها الشيخ لاستمالة المتلقي وإقناعه.

المبحث الرابع: فنون البديع التكراري بين الحجاج والإقناع في خطبة الأمانة

البديع التكراري "هو الذي يهتم بتحقيق الموسيقى والإيقاع في بنية النصوص، من خلال فكرة الانتظام المتكرر للوحدات البنائية البديعية.

ومن هذه الفنون البديعية الإيقاعية ذات البعد التكراري: البديع اللفظي؛ الجناس، والسجع، والاشتراك اللفظي"[١].

الجناس:

يراد به تشابه الكلمتين في اللفظ[٢] مع اختلافهما في المعنى.

ويعد الجناس آلية من آليات الحجاج بما يضفي من تناسب صوتي يجذب الأسماع ويؤثر في النفوس ويستميلها.

فالجناس محسن لفظي كغيره من المحسنات له أثره الاستمالي، وغايته الإقناعية فله دور كبير في شد انتباه المخاطب؛ وذلك بما يسببه من الجرس الموسيقي الذي يطرب الأسماع ويهز الوجدان.

وبلاغة الجناس تتمثل في أن السامع يتوهم أن اللفظ مكرر وأنه لن يجنى منه سوى التطويل والسآمة، وحين يأتي اللفظ الثاني بمعناه المغاير لما سبقه، تأخذه الدهشة لتلك المفاجأة غير المتوقعة، فاللفظ المشترك إذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به معنى آخر كان للنفس تشوق إليه وتطلع، وعندئذ يقع منها أحسن موقع.

وقد حضر الجناس بشكل قليل في خطبة الأمانة إلا أنه قد حقق غايته الحجاجية الإقناعية المرجوة في المواضع التي حضر فيها، ومنه قول الشيخ: "اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ

(١) يُنْظَر: محمد يونس، "المعنى وظلال المعنى". (تونس: دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٧م)، ص١٩٢.

(٢) السكاكي، " مفتاح العلوم"، ج ١: ٤٢٩.

عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ... وَكُلِّ مَنْ تَحَلَّى بِالأَمَانَةِ وَتَخَلَّى عَنِ الخِيَانَةِ"، وقوله: "أميْنا يتحلى بلباس العفة والأمانة، ويتخلى عن الغدْر والخيانة"، فالجناس واضح بين تحلى وتخلى في القول الأول، وبين يتحلى ويتخلى في القول الثاني، وقد أتى الشيخ بهذا الجناس مرة بين فعلين ماضيين، ومرة بين فعلين مضارعين؛ وذلك ليقنع المتلقي بأهمية التحلي بخُلُق الأمانة والتخلي والبعد عن سلوك الخيانة، بأن جعل من يتحلى بخلق الأمانة من الذين يصلى عليهم مع آل النبي وصحبه، كما جعل الأمين هو الذي يتحلى بلباس العفة والأمانة، وهذه هي المقدمة الحجاجية التي استشفت من المنطوق القولي للعبارة، وأما النتيجة الحجاجية فقد فهمت من المنطوق غير القولي للعبارة وهي: أنه من لم يتحلّ بخلق الأمانة لم يصل عليه مع آل النبي –صلى الله عليه وسلم– وسيكون في الدنيا غادرًا خائنًا، مما ألقى الروع في نفس المتلقي، والقلق من أنه لا يكون مع اللذين يصلى عليهم مع آل النبي وصحبه، كما أن الشيخ قد استمال بهذا الفن الجمهور وأقنعه بالفكرة، فقد عبر الشيخ بالجناس لحصول إصغاء المتلقي، ولفت انتباهه، ولقد تجاوب الجناس في تعاطف رائع مع المفاجأة وخداع الأفكار، واختلاب الأذهان، فحقق الأسلوب قوة وانسجاما، وتماثلا في الحروف واختلافا في المعنى، فقد كان للجرس الموسيقي الذي أحدثه الجناس الأثر الأكبر في تحقيق عملية الإقناع والتأثير.

ويتضح الأثر الاستمالي الإقناعي كذلك للجناس في قوله: "الـمُعَامَلَاتُ بَيْنَ النَّاسِ؛ مِنْ بَيْعٍ وَشِرَاءٍ، وَتِجَارَةٍ وَإِجَارَةٍ وَنَحْوِهَا: مِنْ أَهَمِّ جَوَانِبِ الأَمَانَةِ"، فقد جانس الشيخ السديس بين لفظي تجارة وإجارة، وهذا الجناس قد أسهم في استمالة المخاطب وإقناعه بضرورة وجود الأمانة كأساس مهم في حياة المسلم جميعها، لأنها تجعله يراقب ربه في تعاملاته من بيع وشراء وتجارة وإجارة، وهي السبب المباشر في الفلاح والصلاح، لأن مثل هذه المعاملات هي أهم جوانب الأمانة وأولاها بالعناية والاهتمام، وهذا المعنى هو المقدمة التي أراد الشيخ أن يرسلها للمتلقي من خلال المنطوق القولي الحجاجي للعبارة، أما النتيجة الحجاجية التي أراد الشيخ فهمها من

المنطوق غير القولي للعبارة فهي: أن المسلم الذي لا يجعل الأمانة منهجًا ثابتًا في تعاملاته لا يرى الخير في ماله ولا ولده؛ لأنه بهذا يكون قد تخلى عن مبدأ مهم يجعل تلك المعاملات مريحة ناجحة موفقة، وبما أن ذلك كذلك فلا بد من أن يتخلق المسلم الحق بهذا الخلق القويم.

ويطالعنا الشيخ بوظيفة حجاجية أخرى للجناس في قوله: "إِنَّ الأَمَانَةَ مَصْدَرُ الفَلَاحِ، وَيَنْبُوعُ الخَيْرِ وَالصَّلَاحِ"، فقد جانس الشيخ بين كلمتي: فلاح وصلاح؛ ليلفت ذهن المتلقي ويجذب انتباهه للقضية المهمة التي طرحها، وهي أن الأمانة مصدر الفلاح وينبوع الخير والصلاح، وهذه هي المقدمة، أما النتيجة فقد استشعرت من مضمون القول غير المنطوق وهي: من لم يتخذ الأمانة أساسًا لحياته سيخسر مصدر الفلاح وينبوع الخير والفلاح، فقد أثار الشيخ المتلقي بهذا الجناس، وقد ساهم هذا في استمالة المتلقي وإقناعه، والذي زاد في استهواء الفؤاد واستمالة العقل ما أحدثه الجناس من موسيقى عذبة وإيقاع لطيف حمل الأذن على الإصغاء لكل ما يقال، والارتياح له، فقد أدى الجناس دوره التأثيري الذي طلبه المعنى لأجله؛ حيث وضع المتلقي أمام لفظة مكررة، تحمل معنى أكسبته لذة وإيقاعا، جعل المتلقين يصغون للمعاني، ويتحقق الإقناع والتأثير ويسلم المتلقي لما يقوله الشيخ ويقبله على الفور دون معارضة.

ويلاحظ أن الجناس الذي ورد في الخطبة قد جاء عفو الخاطر، عن طبع وقد: "قاد إليه المعنى فأثر في النفوس تأثير السحر ولعب بالأفهام لعب الريح بالهشيم، لما أحدثه من النغمة المؤثرة والموسيقى القوية التي طربت لها الأذن وهشت لها النفس، فأقبلت على السماع من غير أن يداخلها ملل أو يخالطها فتور، فتمكن المعنى في

الأذهان، واستقر في الأفكار، وعز لدى العقول"[١].

وقد أدرج الشيخ المتلقين بالجناسات التي أتى بها في الخطبة في مسار حجاجي، فمن خلال القضية التي وظفت من أجلها الجناس المعنى الثاني ينتج حركة حجاجية للجناس، ويعد نوعا من الاستدراج وذلك لأن الكلمة الثانية توهم المخاطب أنها هي الأولى، ويأتي عنصر المفاجأة فإذا بالثانية غير الأولى وهو نوع من الإيهام.

السجع:

يقصد بالسجع تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد[٢] أي أنه يعني أن يلتزم المتكلم بحرف واحد في مواضع الوقف من كلامه، ويشترط في هذا الفن كما يشترط في فنون البديع كافة أن تكون عفو الخاطر لا متكلفة، وأن تكون خادمة للمعنى.

وتتمثل حجاجية السجع في توظيفه كحجة سببية تعمل على زيادة طاقة القول استماليًا وإقناعيًا، وتتجلى حجاجيته كذلك في جذب الانتباه للكلام المنسجم في إيقاعه، ومن ثم استمالة المستمعين؛ "فالإيقاع الموسيقي الذي يحدث نتيجة لتشابه الأحرف في مواضع الوقف"[٣]، يمكن المتكلم من الوصول إلى مراده من استمالة الجمهور إليه ثم إقناعه بما يعرض عليه في خطابه، فقد طوع الشيخ السديس الحجج وجعلها مرتبة بتناسب صوتي فريد يوجه ذهن المتلقي لهذه الحجج حتى يصل المتلقي إلى مرحلة الاقتناع والرضا.

ويحضر السجع بجميع أنواعه بصورة مكثفة ومطردة في خطب السديس دون

---

(١) موسى، "الصبغ البديعي"، ص٤٩٧.

(٢) ضياء الدين ابن الأثير، "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر". تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، (القاهرة: دار نهضة مصر)، ج١: ص٢١٠.

(٣) بسيوني عبد الفتاح فيود، "علم البديع، دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع". (ط٢، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م)، ص٢٩٨.

استثناء، لما له من الأثر الأكبر في التأثير والاستمالة ثم الإقناع، ومن ذلك في خطبة الأمانة محل الدراسة إقناعه بالسجع المطرف في[١] في قوله: "الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَمَرَ بِأَدَاءِ الأَمَانَاتِ، وَرتَّبَ عَلَى ذلِكَ جَزِيلَ العَطَايَا والهِبَاتِ، وَنَهَى سُبْحَانَهُ عَنِ المَكْرِ والغَدْرِ وَسَائِرِ الخِيَانَاتِ، وَأَوْعَدَ عَلَى ذلِكَ أَلِيْمَ العَذَابِ وَأَشَدَّ العُقُوبَاتِ" فالكلمات (الأمانات – الهبات – الخيانات – العقوبات) قد اختلفت في الوزن، واتفقت جميعها في الروي، وهذه الجمل القصيرة قد أسعفت الإمام في أداء المعنى الذي أراد إيصاله للجمهور في أسرع وقت، وبأقصر عبارات لجذب انتباههم وإقناعهم بموضوع الخطبة وهو العمل بأمر الله: أداء الأمانة لأنه سيجزى بأجزل العطايا والهبات، واجتناب نهي الله وهو الخيانات وإلا سينال أليم العذاب وشديد العقاب، فالسجع قد أنتج مقدمة حجاجية فهمت من المنطوق الحجاجي القولي للنص، وهي أن الذي يؤدي الأمانات سينال أجزل العطايا والهبات، ومن لم ينتهِ عن الخيانات يتوعده الله بأليم العذاب وأشد العقوبات، أما النتيجة الحجاجية فتتمثل في أنه يجب الحرص على أداء الأمانات والابتعاد عن الخيانات، فالسجع قد أضفى ضربًا من الموسيقى الجميلة النابعة من الإيقاع المتكرر الذي يحدثه التوافق والتآلف بين الألفاظ المسجوعة، ليخلق حالة من التسليم والإذعان.

ويوظف الشيخ السجع المطرف مرة أخرى ليستميل المخاطب ويقنعه بما يريد من أفكار؛ وذلك من خلال قوله: "رَغَّبَ أُمَّتَهُ فِي الأَمَانَةِ، وَحَذَرَهَا مِنَ الخِيَانَةِ"، وقوله: "يَتحَلَّى بِلِبَاسِ العِفَّةِ وَالأَمَانَةِ، وَيَتَخَلَّى عَنِ الغَدْرِ والخِيَانَةِ".

فقد جاء السجع بين الكلمتين: "أمانة" و"خيانة" في العبارتين الأولى والثانية، وقد ساهم السجع بما يحدثه من تناغم موسيقي وتوافق صوتي في إثارة عواطف

(١) المطرّف: هو ما اختلفت فيه الفاصلتان وزنا واتفقت رويا، القزويني، "الإيضاح" ص٥٦٧.

المخاطبين، وترغيبهم في الاستماع إلى الكلام، وجذبهم إليه، ثم إقناعهم بالعمل به؛ إذ أنتج السجع مقدمتين حجاجيتين، وهما أن الله قد رغب في الأمانة وحذر من الخيانة، وأن المؤمن الحق هو الذي يتخلق بخلق الأمانة، ويتجنب سلوك الخيانة، وقد فُهِمت المقدمتان من المنطوق القولي الحجاجي للعبارتين المستشهد بهما، والنتيجة الحجاجية المترتبة عليهما نتيجة واحدة، وهي أن المسلم الذكي هو الذي يمتثل لأمر ربه، ويسارع إلى ما يرَغِّبه فيه من أعمال، وينأى بنفسه عن محاذيره ونواهيه، فعليه أن يتحلى بلباس العفة والأمانة ويبتعد عن كل ما يؤدي به إلى الخيانة، وقد فُهمت النتيجة هذه من المنطوق غير القولي للشاهدين، وبهذا يكون قد حقق السجع الغاية الإقناعية، وهي الغاية المرجوة من الحجاج.

ويتجلى الدور الإقناعي للسجع المتوازي[1] في قول السديس : "أَهْلِ الطُّهْرِ والأَمَانَةِ، وَصَحْبِهِ أُوْلِي الفَضْلِ وَالعَدَالَةِ"، وقوله: "إِنَّ الأَمَانَةَ عَظِيمٌ قَدْرُهَا، كَبِيْرٌ شَأْنُهَا" وقوله: "هَذِهِ القَضِيَّةِ المُهِمَّةِ الَّتِي ينوء بِحَمْلِهَا الضَّعَافُ المَهَازِيْلُ، وَالظَّلَمَةُ المَجَاهِيْلُ" وقوله: "فَلَا تُشَاعُ الأَسْرَارُ، وَلاَ تُذَاعُ الأَخْبَارُ"، وقوله: "وَكَمْ مِنْ حِبَالِ مَوَدَّةٍ تَقَطَّعَتْ، وَعَلَاماتِ صَدَاقةٍ تَصَرَّمَتْ"، وقوله: فَلَا خَيْرَ فِي أُمَّةٍ سَادَتْهَا الخِيَانَةُ، وَاسْتَشْرَى فِيْهَا الفَسَادُ والغَدْرُ، وَالإِضَاعَةُ وَالمَكْرُ" وقوله: " وَمَا بُلِيَتْ أُمَّةُ الإِسْلَامِ بِأَشَدَّ مِنْ وُجُودِ الخَوَنَةِ الظَّلَمَةِ الجَائِرِيْنَ الجَهَلَةِ المُتَسَلِّطِيْنَ".

فقد وقع السجع المتوازي بين الكلمتين الأمانة والعدالة، قدرها وشأنها، والمهازيل والمجاهيل، وأسرار وأخبار، وتَقَطَّعَتْ وتَصَرَّمَتْ، والغدر والمكر، وجائرين والمتسلطين، وقد أراد الشيخ أن يقنع المتلقي بأن أهل الفضل والمنزلة العليا عند الله –عز وجل– هم الأمناء وأن الأمانة عظيمة القدر كبيرة الشأن، وأنها قضية ليست سهلة، وإنما هي أمر صعب

(١) المتوازي: هو أن تتفق اللفظة الأخيرة من القرينة أي الفقرة مع نظيرتها في الوزن والروي، ينظر القزويني، "الإيضاح" ص٥٦٧.

ثقيل على العاقل القوي العادل، وأن الأمين هو الذي لا يشيع أسرار الناس، ولا يذيع أخبارهم، ويتناقلها بقصد الغيبة والنميمة، وأن علاقات كثيرة تقطعت بسبب الخيانة، وأنه لَا خَيْرَ فِي أُمَّةٍ سَادَتْهَا الخِيَانَة، وانتشر فِيْهَا الفَسَاد والغدر وَالمَكْر، وأن الأمة الإسلامية قد أُبتَليت بوُجُودِ الخَوَنَةِ الظَّلَمَةِ الجَائِرِيْنَ الجَهَلَةِ المُتَسَلْطِيْن.

هذه هي المقدمات الحجاجية التي أوردها الإمام ليقنع الجمهور بأهمية الأمانة وخطورة الخيانة على المجتمع، وهي التي فهمت من المنطوق القولي الحجاجي للعبارات المذكورة، والنتائج الحجاجية المترتبة على تلك المقدمات بترتيبها هي: الخونة ليس لهم قيمة في المجتمع الإسلامي.

الخيانة منحطة الشأن وضيعة المنزلة.

الخائن هو الضعيف الهزيل الظالم لنفسه والجاهل.

الخائن هو الذي يفشي أسرار الناس وأخبارهم.

الأمانة هي التي تبقي على العلاقات الطيبة وتقوي أواصر المحبة.

ما يهدم أي أمة إلا الخيانة والغدر والمكر.

وما أشد على الأمة من ابتلائها بالخَوَنَة الظَّلَمَة الجَائِرِيْن الجَهَلَة المُتَسَلْطِيْن.

كل هذه النتائج استشعرت من المنطوق غير القولي للجمل السابقة، ولكي يلفت الشيخ ذهن الجمهور إلى تلك الأشياء وينبههم إليها استخدم تقنية السجع المتوازي، فالقضية الحجاجية التي أنتجها السجع جعلت المتلقي أشد إثارة، وأكثر انتباهًا، وآكد في الاستمالة.

والإثارة والتشويق رافدان من روافد الحجاج والإقناع، فبلاغة الأسجاع وقصر الجمل قد ساهم في إثارة العواطف واستمالة العقول.

ويأتي السجع المرصع[1] بدوره التأثيري الإقناعي في قوله: "أَنَّ حَقِيْقَتَهَا فِي الإِسْلَامِ أَضْخَمُ وَأَثْقَلُ، وَمَفهُومَهَا أَوْسَعُ وَأَشْمَلُ"، وقوله: "أُمَّةَ الإِسْلَامِ، إِنَّ مِقْيَاسَ حَضَارَةِ الأُمَمِ،... بِنَزَاهَةِ أَفْرَادِهَا، وَأَمَانَة أَبْنَائِهَا"، فالسجع واقع بين الفقرتين أَضْخَم وَأَثْقَل، وأَوْسَع وَأَشْمَل في القول الأول، وفي القول الثاني بين بِنَزَاهَةِ أَفْرَادِهَا، وَأَمَانَة أَبْنَائِهَا، فالترصيع قد آزر الشيخ في إقناع المخاطب بأنه لا يستهين بالأمانة، لأن حقيقتها ضخمة ثقيلة ومفهومها واسع شامل لكل المبادئ الإسلامية المأمور بها، وهذه هي المقدمة التي فهمت من المنطوق الحجاجي القولي للعبارة الأولى.

وأما المقدمة التي استشفت من العبارة الثانية فهي أن الأمم تتقدم بأشياء مهمة، أهمها الأمانة.

والنتيجة الحجاجية لهاتين المقدمتين هي أنه لا يمكن الاستغناء عن الأمانة في حياة المسلم، وأن الأمم ستتأخر لو لم تكن الأمانة أهم مبادئها، وقد تكاتف السجع مع هذه القضية الحجاجية في التأثير على الجمهور، واستمالته، ثم إقناعه بالفكرة المطروحة؛ إذ أحدث السجع نغمة موسيقية ساعدت على جذب الجمهور إلى الخطبة وإيصال المعنى إليهم بصورة إيقاعية مثيرة؛ فالتوافق الإيقاعي والتناغم الصوتي يجعل المخاطب أكثر تأثرًا وتركيزًا، وأشد انتباهًا وتشويقًا.

"ويمكن اعتبار الموسيقى رافدا من روافد الحجاج من جهة استيلاء ما وقع على النفوس وامتلاك الأنغام للأسماع وما كان أملك للسمع كان أفعل باللب والنفس"[2].

---

(١) الترصيع: هو كون ما في إحدى القرينتين من الألفاظ، أو أكثر ما فيها، مِثلُ ما يقابله من الأخرى في الوزن والتقفيةِ، القزويني "الإيضاح"، ص ٥٦٧.

(٢) الدريدي، "الحجاج في الشعر العربي القديم"، ص ١٢٧.

وبعد عرض هذه النماذج يلاحظ أن السجع في الخطبة كغيره من المحسنات البديعية قد جاء عفو الخاطر مطبوعًا، وساهم في بناء النص وأدى دوره التأثيري الذي طلبه المعنى واستدعاه.

ويلاحظ أن السجع يعد سمة مطردة وآلية حجاجية متكررة في خطب السديس؛ فتضافر السجع مع نبرة الخطيب العالية في إلقائه، يُكسب خطبه قوة إقناعية وتأثيرية من الدرجة الأولى.

الخاتمة

لقد انتهيتُ بفضل الله من هذا البحث، وقد أفضى هذا البحث إلى النتائج التالية:

١) قدرة الشيخ على تفعيل دور الخطابة في المجتمع الإسلامي من خلال مراعاته لمقام حال السامعين، وانتقاء ما يتناسب مع مكانتهم، فجاءت خطبه متعددة المقامات ومتنوعة الأساليب.

٢) لم يكن خطاب السديس في خطبة الأمانة مجرد خطاب إخباري وإنما كان خطابًا تأثيريًا تغييريًا، بحيث يجعل المتلقي كارهًا للخيانة، محبا للأمانة، مدركًا أن سعادة الأمة ونهضتها في التمسك بها.

٣) معظم مقدمات القضايا الحجاجية التي أنتجتها الفنون البديعية في خطبة الأمانة فهمت من المنطوق القولي، أما النتائج فقد اُسْتَشفت من المنطوق غير القولي للنص.

٤) تنوعت الفنون البديعية في الخطبة محل الدراسة فقد كان حضورها بمعظم ألوانها وبأقسامها وبتأثيرها الحجاجي وغايتها الإقناعية.

٥) قد أكثر الشيخ من استخدام فنون البديع التقابلي والتداولي لاستمالة جمهوره وإقناعهم، أما فنون البديع التكراري فقد أقل منها؛ وذلك لما للفنون البديع التقابلي والتداولي من الأثر الأكبر في التأثير والاستمالة، ثم الإقناع والتسليم والقبول.

٦) استطاع الشيخ أن يوظف الفنون البديعية توظيفًا حجاجيًا مستغلًا ما فيها من طاقات إقناعية تأثيرية، فبدى خطابه خطابًا حجاجيًا إقناعيًا، يحمل طاقات فوق طاقات الكلام، ويحمل معاني ثانية.

٧) كانت الفنون البديعية في الخطبة وسيلة إقناعية مؤثرة في المخاطب (المجتمع)

جعلته يسارع إلى التخلق بخلق الأمانة والابتعاد عن سلوك الخيانة، ويشعر بالإثم والذنب لو لم يفعل، وهذا غاية الإقناع.

٨) كثرة استخدام حجة التناسب؛ لتؤسس للمعاني التي أرادها الشيخ بالجمع بين أطراف مختلفة في الجنس بينها تشابه، وقد بدى هذا جليًّا في استخدامه لفني الجمع والتقسيم.

ومما ينبغي أن يوصَى به ما يأتي:

١) توجيه البحوث وصرف الهمم نحو التنقيب في أدبنا العربي عموما والنثر خصوصًا، وقراءته قراءات متعددة للكشف عن كنوزه، مع الإفادة مما توصل إليه الدرس الحديث من تفاصيل تساعد على فتح آفاق جديدة لتحليل النصوص وتزيدها ثراءً.

٢) التوسع في دراسة التطبيقات العملية في النثر كما هو الحال في الشعر لأساليب الإقناع والتأثير في مجال البلاغة والنقد، وتقديمها بصورة تيسر لباحث اللغة العربية استخدامها والتعامل معها.

٣) التركيز على الدراسات الحجاجية التي تعتمد على الآليات البلاغية، وعدم المبالغة في ربط الحجاج بأبعاده المنطقية والاستدلالية، التي تنحو به إلى المغالطات والجدل العقيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

ابن الأثير، ضياء الدين، "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر". تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، (القاهرة: دار نهضة مصر).

ابن الأزهري، محمد بن أحمد، "تهذيب اللغة". تحقيق: محمد عوض مرعب، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م).

الأندلسي، ابن عطية، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ)

بوجادي، خليفة، "في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم". (ط١ الجزائر، ٢٠٠٩م)

بيومي، مصلح سيد، "الخطابة في الإسلام". (ط٢، القاهرة: متفرقات مصرية، ١٩٨٨م).

الجاحظ، عمرو بن بحر أبو عثمان، "البيان والتبيين". تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون. (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ).

الجرجاني، علي بن محمد بن علي، "التعريفات". تحقيق إبراهيم الأنباري، (ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ).

جمعة، حسين، "التقابل الجمالي في النص القرآني". (ط١، دمشق: منشورات دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م).

أبو الحسن، إسحاق إبراهيم، "البرهان في وجوه البيان". تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي. (ط١ بغداد: جامعة بغداد، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م).

حشاني، عباس، "خطاب الحجاج والتداولية – دراسة في نتاج ابن باديس الأديب". (ط١، إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٤م).

الحوفي، أحمد، "فن الخطابة". (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٥م).

داود، أماني سلمان، "الأمثال العربية القديمة: دراسة أسلوبية سردية حضارية". (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٠م).

الدريدي، سامية، "الحجاج في الشعر العربي القديم". (الأردن: دار عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٨م).

أبو الزهراء، "دروس الحجاج الفلسفي". (المغرب: مجلة الشبكة التربوية الشاملة، ٢٠٠٨م).

أبو ستيت، الشحات محمد، "دراسات منهجية في علم البديع". (القاهرة: مكتبة وهبة للطباعة والنشر, ١٩٩٤م).

السبكي، بهاء الدين، "عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح". تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، (ط١، بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م).

السديس، عبد الرحمن بن عبد العزيز، "كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة". (مكة المكرمة: مطبوعات مكتبة إمام الدعوة العلمية).

السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، "مفتاح العلوم". ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور. (ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ).

شادي، محمد إبراهيم، "من وجوه تحسين الأساليب في ضوء بديع القرآن". (ط١، مصر: دار السعادة، ١٤٠٨هـ– ١٩٧٨م).

شلبي، عبد الجليل، "الخطابة وإعداد الخطيب". (ط٣، القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م).

موسى، أحمد إبراهيم، "الصبغ البديعي في اللغة العربية". (القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٩م)، ص ١٦٤.

فيود، بسيوني، "علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع". (ط٤، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م).

صولة، عبد الله، "الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية". (ط١، بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠١م).

طاليس، أرسطو، "الخطابة، الترجمة العربية القديمة". تحقيق: عبدالرحمن بدوي، (دمشق: دار القلم، ١٩٧٩م).

الطلبة، محمد سالم محمد الأمين، "الحجاج في البلاغة المعاصرة (بحث في بلاغة النقد المعاصر". (ط١، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٨م).

العسكري، أبو هلال، "الصناعتين". تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. (بيروت: المكتبة العنصرية، ١٤١٩هـ).

علوي، حافظ إسماعيلي، "الحجاج، مفهومه ومجالاته". (ط١ عمان: عالم الكتب الحديثة، ٢٠١٠م).

العوادي، سعيد، "البديع في الخطاب الشعري من التحسين إلى التكوين". (ط١، المغرب: كنوز المعرفة، ٢٠١٤م)

غلوش، أحمد، "قواعد الخطابة وفقه الجمعة والعيدين". (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩م).

فروخ، عمر، "تاريخ الأدب العربي". (ط٤، بيروت: دار القلم للملايين، ١٩٨١م)

فشل، أحمد، "علم البديع رؤية جديدة ". (القاهرة: دار المعارف للطباعة والنشر، ١٩٩٦م).

فضل، صلاح، "نظرية البنائية في النقد الأدبي". (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨م)

الفيروزآبادى، مجد الدين، "القاموس المحيط". تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، (ط٨، بيروت: مؤسسة الرسالة

للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).

فيود، بسيوني عبد الفتاح، "علم البديع، دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع". (ط٢، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).

القرطاجني، حازم، "منهاج البلغاء وسراج الأدباء. تحقيق/ محمد الحبيب بن الخوجة. (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١م)

القزويني، جلال الدين الخطيب، "الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع. تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي. (ط٣، بيروت: دار الجيل).

القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، "التلخيص في علوم البلاغة". ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي، (ط١ بيروت: دار الفكر العربي).

ابن منظور، محمد بن مكرم، "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩م).

موسى، أحمد إبراهيم، "الصبغ البديعي". القاهرة: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م).

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، "تحرير ألفاظ التنبيه". تحقيق: عبد الغني الدقر. (ط١، دمشق: دار القلم، ١٤٠٨هـ).

وهبة والمهندس، مجدي وكامل، "معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب". (ط٢، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤م).

يونس، محمد، "المعنى وظلال المعنى". (تونس: دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٧م).

Bibliography

Ibn al-Athīr, Ḍiyā' al-Dīn, "al-Mathal al-Sā'ir fī adab al-Kātib wa-al-shā'ir". Investigated by: Ahmed Al-Hofi and Badawi Tabana, (Cairo: Dar Nahdet Misr).

Ibn al-Azharī, Muḥammad ibn Aḥmad, "Tahdhīb al-Lughah". Investigated by: Muhammad Awad Merheb, (1st edition, Beirut: Arab Heritage Revival House, 2001).

Al-Andalusī, Ibn 'Aṭīyah, "al-Muḥarrir al-Wajīz fī tafsīr al-Kitāb al-'Azīz". Investigated by: Abdel Salam Abdel Shafi Muhammad, (1st edition, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1422)

Būjādy, Khalīfah, "fī al-Lisānīyāt al-Tadāwulīyah ma'a muḥāwalah Ta'ṣīlīyah fī al-Darrs al-'Arabī al-Qadīm". (1st edition Algeria, 2009)

Bayyūmī, Muṣliḥ Sayyid, "al-Khaṭābah fī al-Islām". (2nd ed., Cairo: Miscellaneous Egyptian, 1988).

Al-Jāḥiẓ, 'Amr ibn Baḥr Abū 'Uthmān, "Al-Bayān wa-al-tabyīn". investigated and explained by: Abdul Salam Muhammad Haroun. (Beirut: Al-Hilal House and Library, 1423 AH).

Al-Jurjānī, 'Alī ibn Muḥammad ibn 'Alī. Investigated by: Ibrahim Al-Anbari, (1st edition, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1405 AH).

Jum'ah, Ḥusain, "al-Taqābul al-jamālī fī al-naṣṣ al-Qur'ānī ". (1st ed., Damascus: Dar Al-Numair Publications for Printing, Publishing and Distribution, 2005).

Abū al-Ḥasan, Isḥāq Ibrāhīm, "al-Burhān fī Wujūh al-Bayān". Investigation: Ahmed Matloob and Khadija Al-Hadithi. (1st edition, Baghdad: University of Baghdad, 1387 AH, 1967).

Ḥashshānī, 'Abbās, "Khiṭāb al-Ḥijjāj wa-al-Tadāwulīyah — dirāsah fī nitāj Ibn Bādīs al-adīb". (1st edition, Irbid: Modern World of Books, 2014).

al-Ḥūfī, Aḥmad, "Fann al-Khaṭābah". (Cairo: Nahdet Misr for Printing, Publishing and Distribution, 1985).

Dāwūd, Amānī Salmān, "al-Amthāl al-'Arabīyah al-Qadīmah: dirāsah uslūbīyah sardīyah ḥaḍārīyah". (Beirut: Arab Foundation for Studies and Publishing, 2010).

Al-Duraidī, Sāmiyah, "al-Ḥijāj fī al-Shi'r al-'Arabī al-Qadīm". (Jordan: Modern World Book House, 2008).

Abū al-Zahrā', "Durūs al-Ḥijāj al-Falsafī". (Morocco: Comprehensive Educational Network Magazine, 2008).

Abū Sutayt, al-Shaḥḥāt Muḥammad, "Dirāsāt Manhajīyah fī 'ilm al-

Badī‘". (Cairo: Wahba Library for Printing and Publishing, 1994).

Al-Subkī, Bahā’ al-Dīn, "‘Arūs al-Afrāḥ fī Sharḥ Talkhīṣ al-Miftāḥ". Investigated by: Dr. Abdul Hamid Hindawi, (1st edition, Beirut: Modern Library for Printing and Publishing, 1423 AH - 2003).

Al-Sudais, ‘Abd-al-Raḥmān ibn ‘Abd-al-‘Azīz, "Kawkabat al-Khuṭab al-Munīfah min Minbar al-Ka‘bah al-Sharīfah". (Makkah Al-Mukarramah: Imam Al-Dawa Al-Ilmiyyah Library Publications).

Al-Sakkākī, Yūsuf ibn Abī Bakr ibn Muḥammad ibn ‘Alī, "Miftāḥ al-‘Ulūm". footnpotes and commentry by: Naeem Zarzour. (2nd edition, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1407 AH).

Shādī, Muḥammad Ibrāhīm, "Min Wujūh Taḥsīn al-Asālīb fī ḍaw’ Badī‘ al-Qur’ān". (1st edition, Egypt: Dar Al-Saʿāda, 1408 AH - 1978).

Shalabī, ‘Abd al-Jalīl, "al-Khaṭābah wa-I‘dād al-Khaṭīb". (3rd edition, Cairo: Dar Al-Shorouk, 1408 AH - 1987).

Mūsá, Aḥmad Ibrāhīm, "al-Ṣibgh al-Badī‘ī fī al-Lughah al-‘Arabīyah". (Cairo: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1388 AH/1969), p. 164.

Fayyoud, Basyūnī, "‘ilm al-Badī‘ dirāsah tārīkhīyah wa-fannīyah li-uṣūl al-balāghah wa-masā’il al-Badī‘". (4th edition, Cairo: Al-Mukhtar Publishing and Distribution Foundation, 1436 AH - 2015).

Ṣūlah, ‘Abdullāh, "al-Ḥijāj fī al-Qur’ān min khilāl khaṣā’iṣuhi al-uslūbīyah". (1st edition, Beirut: Dar Al-Farabi, 2001).

Ṭālīs, Aristū, "al-Khaṭābah, al-Tarjamah al-‘Arabīyah al-Qadīmah". Investigated by: Abdul Rahman Badawi, (Damascus: Dar Al-Qalam, 1979 AD).

Al-Ṭalabah, Muḥammad Sālim Muḥammad al-Amīn, "al-Ḥijāj fī al-balāghah al-mu‘āṣirah (baḥth fī Balāghat al-naqd al-mu‘āṣir". (1st edition, Beirut, United New Book House, 2008).

Al-‘Askarī, Abū Hilāl, "al-ṣinā‘atayn". Investigation: Ali Muhammad Al-Bajawi and Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim. (Beirut: The Racist Library, 1419 AH).

‘Alawī, Ḥāfiẓ Ismā‘īlī, "al-Ḥijāj, Mafhūmuhu wa-Majālātuh". (1st edition, Amman: World of Modern Books, 2010).

Al-‘Awwādī, Sa‘īd, "al-Badī‘ fī al-Khiṭāb al-Shi‘rī min al-Taḥsīn ilá al-Takwīn". (1st edition, Morocco: Treasures of Knowledge, 2014)

Ghalūsh, Aḥmad, "Qawā‘id al-Khaṭābah wa-Fiqh al-Jum‘ah wa–al-

‘īdain". (Beirut: Al-Resala Foundation, 1979)
Farrūkh, ‘Umar, "Tārīkh al-Adab al-‘Arabī". (4th ed., Beirut: Dar Al-Qalam Lil-Malayin, 1981)
Fashal, Aḥmad, "‘ilm al-Badī‘ ru’yah jadīdah". (Cairo: Dar Al-Maaref for Printing and Publishing, 1996).
Faḍl, Ṣalāḥ, "Naẓarīyat al-binā’īyah fī al-naqd al-Adabī". (Cairo: Egyptian General Book Authority, 2008)
Alfairūz’ābādī, Majd al-Dīn, "al-Qāmūs al-Muḥīṭ". Investigation: Heritage Investigation Office at Al-Resala Foundation, under the supervision of: Muhammad Naeem Al-Arqsusi, (8th edition, Beirut: Al-Resala Foundation for Printing, Publishing and Distribution, 1426AH - 2005)
Fayyūd, Basyūnī ‘Abd al-Fattāḥ, "‘ilm al-Badī‘, dirāsah tārīkhīyah wa-fannīyah li-uṣūl al-balāghah wa-masā’il al-Badī‘". (2nd edition, Cairo: Al-Mukhtar Publishing and Distribution Foundation, 1418AH – 1998).
Al-Qarṭājannī, Ḥāzim, "Minhāj al-Bulaghā’ wa-Sirāj al-Udabā’". Investigated by: Muhammad al-Habib bin al-Khoja. (Beirut: Dar al-Gharb al-Islami, 1981)
Al-Qazwīnī, Jalāl al-Dīn al-Khaṭīb, "al-Īḍāḥ fī ‘Ulūm al-Balāghah al-Ma‘ānī wa-al-Bayān wa-al-badī‘". Investigated by: Muhammad Abd al-Moneim Khafaji. (3rd ed., Beirut: Dar al-Jeel).
Al-Qazwīnī, Jalāl al-Dīn Muḥammad ibn ‘Abd al-Raḥmān, "al-Talkhīṣ fī ‘ulūm al-Balāghah". Investigated and explained by: Abdul Rahman Al-Barqoqi, (1st edition, Beirut: Dar Al-Fikr Al-Arabi).
Ibn Manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram, "Lisān al-‘Arab". (3rd ed., Beirut: Arab Heritage Revival House, 1999).
Mūsá, Aḥmad Ibrāhīm, "al-Ṣibgh al-Badī‘ī". (Cairo: Dar Al-Kitab Al-Arabi for Publishing and Distribution, 1388 AH - 1969).
Al-Nawawī, Abū Zakarīyā Muḥyī al-Dīn Yaḥyá ibn Sharaf, "Taḥrīr alfāẓ al-Tanbīh". Investigation: Abdul Ghani Al-Daqr. (1st edition, Damascus: Dar Al-Qalam, 1408).
Wahbah wa-al-muhandis, Majdī wa-Kāmil, "Mu‘jam al-Muṣṭalaḥāt al-‘Arabīyah fī al-Lughah wa-al-Adab". (2nd ed., Beirut: Lebanon Library, 1984)
Yūnus, Muḥammad, "al-Ma‘ná wa-Ẓilāl al-Ma‘ná". (Tunisia: New Book House, 2007).

١٣٨١
١٩٦١

The Islamic University Journal of Arabic Language and Literature

part 2

July - Sept
2024

Issue
13